

دكتور
حامد طاهر

الأدب الإسلامي
آفاق ونماذج

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع
عبده غريب

إهداءات ٢٠٠٣

الأستاذ الدكتور / حامد طاهر

نائب رئيس جامعة القاهرة

الأدب الإسلامي

آفاق ونماذج



الأدب الإسلامي

آفاق ونماذج

دكتور

حامد طاهر

عميد كلية دار العلوم

بجامعة القاهرة

الناشر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

عبده غريب

الكتـــــــاب : الأدب الإسلامى

المؤلـــــــف : د . حامد طاهر

تـاريخ النشـــر : ٢٠٠٠

حقوق الطبع والترجمة والاقتباس محفوظة

النــاشـــــر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع

عبده غريب

شركة مساهمة مصرية

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز – عمارة برج آمون

الدور الأول – شقة ٦

ت ، : ٢٤٧٤٠٣٨، ٢٤٦٢٥٦٢

فاكس : ٢٤٠١٧٤٤

التـــوزيـــع : ١٠ شارع كامل صدقى الفجالة (القاهرة)

ت : ٥٩١٧٥٣٢ ص. ب : ١٢٢ (الفجالة)

المركز الرئيسى : مدينة العاشر من رمضان

المنطقة الصناعية (C1) ت: ٠١٥/٣٦٢٧٢٧

رقـم الإيــداع : ٥٥٣١/ ٩٩

التـرقيم الدولى : I S B N

977 - 303 - 162 - 4

الإهداء

إلى الأجيال الصاعدة،

من أبناء أمتنا ..

الذين يتطلعون إلى أدب أصيل،

لاشرقى ولا غربى،

يعبر عنهم،

وتتواصل معه أرواحهم ..

حامد طاهر

تقديم

منذ عدة سنوات، طلبت منى إذاعة قطر أن أكتب لها مجموعة متكاملة من الأحاديث حول الأدب الإسلامى [1]. وقد جاء ترحيبى بالطلب سريعاً، لأننى كنت، ومازلت أتابع الدعوة الهادئة لتشجيع الأدب الإسلامى، والتى تظهر من وقت لآخر على صفحات الجرائد، أو يصدر بشأنها كتاب، ثم لا تلبث أن تختفى وسط الضجيج المتعالى للأدب الحديث، والترويج الواسع للأدب الغربى وما تناسل عنه من إنتاجات الحداثة، التى لم تلق على الإطلاق أى قبول من المجتمعات الإسلامية.

وقد وجدت الأمر غريباً. وهو أن الجميع متفق على أن (الأدب مرآة المجتمع)، وبالتالى فلابد أن يعكس مافى هذا المجتمع من حركة وسكون، من تقدم وتخلف، من انكسار وتطلعات .. وهذا المبدأ يطبق بكل احترام على كل المجتمعات الغربية، ولكننا عندما نحاول تطبيقه على المجتمعات الإسلامية نجد أصحاب الأصوات العالية يرفضون ويستنكرون ويتهمون أصحاب تلك المحاولة بالرجعية والجمود. وهنا نستحضر قول أحمد شوقى:

أحرام على بلابله الدوح حلال للطير من كل جنس

إن الحرية التى يتمتع بها الأدباء فى الغرب ينبغى أن يتمتع بمثلها الأدباء فى العالم الإسلامى. وهذا يعنى أن تتاح لهم الفرصة ليكتبوا لمجتمعاتهم الأدب الذى تريده هذه المجتمعات، وليس ما يفرض عليها من الخارج. ولا شك أن للفرد المسلم، وللأسرة المسلمة، وللعلاقات الاجتماعية بين المسلمين جواً نفسياً واجتماعياً وثقافياً مختلفاً تماماً، أو إلى حد كبير، عن مثيله فى الغرب. لذلك فمن الظلم البين أن يقدم الأدب الغربى لهذه المجتمعات على أنه هو الزاد الذى يشبع ظمأها الروحى للأدب.

وانطلاقاً من هذه التوجهات، يسعدنى أن أقدم للقراء هذا الكتاب، متضمناً مجموعة الأحاديث الإذاعية بعد تنقيحها، مضافاً إليها مجموعة أخرى من النماذج

---

(١) كان للإعلامى المصرى القدير الأستاذ صلاح خليفة فضل تكليفى بهذه المهمة.

الشعرية والنثرية، التى أراها صالحة لتمثيل الأدب الإسلامى، حتى لا يطغى الحديث النظرى حول هذا الأدب على نصوصه الحقيقية

ومثل كل ما أكتبه، فإننى أرجو أن يكون دعوة إلى المتخصصين فيه لكى يتابعوا المسيرة، ويتجاوزوا الخطوة الواحدة بخطوات كثيرة .. والله ولى التوفيق،،

د. حامد طاهر

القسم الأول

معايير الأدب الإسلامى

فى القرنين الماضيين، بدأ العالم الإسلامى مسيرته على طريق النهضة، محاولاً التخلص من قيود فترة طويلة من الركود، وساعياً بكل جهده إلى تعويض مافاته، لكى يلحق بركب التقدم.

ولاشك أن الخمسين سنة الأخيرة تشهد صحوة إسلامية حقيقية، بدأت أصداؤها تتردد فى سائر أنحاء العالم الإسلامى، بل وتنتقل إلى المسلمين الذين يعيشون فى أوربا وأمريكا.

وبعد انحسار موجة الاستعمار الغربى فى منتصف القرن العشرين، ومع زيادة نسبة التعليم العصرى بين المسلمين، والرغبة القوية فى الإصلاح، بدأت تظهر اتجاهات عديدة، لبعث المفاهيم الإسلامية فى الحياة المعاصرة. ومن الأمثلة على ذلك ظهور مصطلح (الاقتصاد الإسلامى) الذى يعبر عن تكون ظاهرة علمية جديدة، تسعى لإثبات شخصية مستقلة ومتميزة للفكر الإسلامى فى مجال الاقتصاد، وخاصة بعد أن فشلت تماماً بعض الأنظمة الاقتصادية العالمية (الشيوعية)، وظهرت عيوب واضحة فى الأنظمة المقابلة لها (الرأسمالية).

حينئذ بدأ علماء المسلمين يقولون: إن لدينا فكراً إسلامياً اقتصادياً، يتميز بالدقة والبساطة، كما أنه يصلح للتطبيق فى حياة الناس الجارية.

وعلى غرار الاقتصاد الإسلامى، بدأت الدعوة إلى (أدب إسلامى) يعبر عن القيم والمبادئ السامية التى أرساها الإسلام.

لكن هذه الدعوة مازالت محدودة، فهى تتردد على استحياء أحياناً، وتتأكد فى أحيان أخرى، عن طريق تكوين بعض الجمعيات، أو عقد الندوات، وصدور بعض المجلات.

والمدار هنا، ليس مجرد الدعوة إلى إيجاد "أدب إسلامى"، وإنما فى تتبع ظاهرة الأدب الإسلامى، قديماً وحديثاً، بحيث يتم تحديد هويته، ويمكن بالتالى السير على هداه..

وفى سبيل تحديد هوية هذا الأدب الإسلامى، لدينا ثلاثة معايير، سوف نقوم بفحصها، حتى نتوصل إلى أكثرها مناسبة..

المعيار الأول: يتمثل فى عامل المكان .. فهل يمكن أن نقول إن الأدب الإسلامى، هو الأدب الذى يتم إنتاجه فى البلاد الإسلامية؟ بعبارة أخرى .. هل هو الأدب الذى يتم إنتاجه فوق الأرض التى تسكنها غالبية مسلمة؟

لاشك أن عامل المكان ضرورى، ولكنه لا يكفى وحده معياراً، لتحديد هوية الأدب الإسلامى .. فقد يعيش على أرض المسلمين من ينتج أدباً لا يتمشى تماماً مع عاداتهم وتقاليدهم، ولايستلهم مبادئ دينهم، الذى هو أخص خصائصهم. كما أننا قد نلتقى فى بعض البلاد التى لا نطلق عليها بلاداً إسلامية، بمن ينتج أدباً له صبغة إسلامية، أو يتمشى مع مبادئ الإسلام، ولا يعارضها .. وحينئذ يمكن الحكم عليه بأنه أدب إسلامى، على الرغم من مكان إنتاجه.

وهنا ننتقل إلى **المعيار الثانى**، الذى يتمثل فى عامل الزمان ..

ويمكن أن نتساءل: هل يمكن اعتبار كل ما تم إنتاجه، بعد مجىء الإسلام، أدباً إسلامياً؟

الواقع أننا نجد أنفسنا ـ هنا أيضاً ـ أمام إشكالية، وهى أن كثيراً من الأدباء، الذين كتبوا بعد ظهور الإسلام، وحتى الآن، لا ينطبق على أدبهم السمة الإسلامية بالمعنى الدقيق للكلمة .. فهناك من كتب فى موضوعات حرمها الإسلام، مفتخراً بارتكابها، ولدينا فى الأدب العربى، خلال العصر العباسى، ومابعده أنواع من الأدب، هى أبعد ما تكون عن روح الإسلام. وبالتالى فإننا لايمكن أن نقبل عامل الزمان على أنه هو وحده الذى يحدد هوية الأدب الإسلامى ..

ونصل الآن إلى **المعيار الثالث:** الذى يمكن أن نحدده فى: "التوجه الإسلامى" بمعنى الالتزام بمبادئ الإسلام وقيمه العليا، أثناء عملية الإنتاج الأدبى ..

وفى رأيى أن هذا المعيار هو أصدق المعايير فى تحديد هوية الأدب الإسلامى. وبالتالى يمكن القول بأن الأدب الإسلامى: هو الأدب الذى يصدر من منطلقات إسلامية، ويهدف إلى تمجيد القيم والمبادئ العليا، التى دعا إليها الإسلام.

وهو الذى يسعى ـ فى نفس الوقت ـ للتعبير عن الروح الإسلامية، لدى الشعوب التى تعتنق هذا الدين.

ذلك هو المعيار الذى يمكن ـ على أساسه ـ أن نقبل أو نرفض ماتم إنتاجه من أدب، سواء من حيث المكان، فى شتى أنحاء العالم الإسلامى، أو من حيث الزمان، بعد ظهور الإسلام، وحتى الآن.

وفى تصورى، أن معيار "التوجه الإسلامى" معيار عادل .. فهو ينفى عن أى أدب يصدر عن المسلمين صفة "الإسلامية" إذا ما قدس الرذيلة، أو شوه قيم الخير. أو إذا ما انفلت من إطار العقيدة الصحيحة، والثوابت الإسلامية المرتبطة بها، أو إذا ما جاهر بالانحلال، ومزق الروابط الأسرية، وصلة الرحم، التى يعقدها الإسلام.

وفى نفس الوقت فإنه سوف يتمتع بصفة "الإسلامية" مادام ملتزماً بالعقيدة، محترماً للشعائر، محافظاً على الكيان الأخلاقى الذى وضعه الإسلام، معتزاً بأحكامه العادلة، ومبادئة السامية.

كذلك ينبغى أن نتنبه لأمر مهم، وهو أنه لايكفى مطلقاً أن يتم إنتاج أدب ذى توجه إسلامى، حتى نقول إنه قد أصبح لدينا أدب إسلامى، وإنما لابد أن ينضم إليه التجويد الفنى فى التعبير، والتصوير، والارتقاء بالمستوى البلاغى إلى أبعد مدى ممكن.

بل إننى أكاد أذهب إلى أن الأديب الضعيف أو حتى المتوسط، لا ينبغى أن يتصدى لإنتاج الأدب الإسلامى، حتى لا تلتصق تهمة الضعف بالأدب الإسلامى، وتسىء بالتالى إلى مضمونه الحقيقى.

إن أعمالاً جيدة، ورائعة قد تم إنتاجها بالفعل فى إطار الأدب الإسلامى، وهذه الأعمال تتميز بالمضمون الإسلامى الصحيح، وبالجودة الفنية المطلوبة.

وهذان الشرطان ضروريان لاستمرار الأدب الإسلامى، كما أن مستقبله رهن بتحقيقهما.



إحياء الأدب الإسلامى

ظهرت الدعوة إلى إحياء الأدب الإسلامى فى إطار الصحوة الإسلامية التى تشهدها معظم البلاد الإسلامية، وتتمثل هذه الصحوة فى المناداة بإحلال الإسلام بشرائعه، ونظمه، وقوانينه محل النظم والقوانين الوضعية، التى يثبت، فى كل يوم، عدم جدواها، لتحقيق سعادة الإنسان على الأرض، أو صلته بخالق الكون...

ولأن الأدب مرآة المجتمع، والأدباء هم أصوات ضميره، والمعبرون عما يختلج فيه من شجون، ويتواثب فيه من آمال، فقد أصبح من الضرورى أن يصدر عن المجتمعات الإسلامية أدب حقيقى يعبر عن آلامها وآمالها.

ومن الملاحظ أن المجتمعات الإسلامية، قد تعرضت على مدى القرنين الماضيين لموجة من الأدب الغربى، الذى جرى استيراد معظمه دون أن تكون هناك حاجة ماسة إليه، ودون أن يكون هذا الأدب مستجيباً لضرورة، وإنما تم استيراده، وتسويقه أحياناً، فى إطار السيطرة الثقافية التى حاول الغرب أن يفرضها على شعوب الأمة الإسلامية، وقد تفوق عليها من الناحية المادية. وأحياناً أخرى بفعل أبناء هذه الشعوب، الذين انخدعوا ببريق الإنتاج الأدبى فى الغرب، دون أن يشعروا أن هذا الإنتاج لا يصور مجتمعهم، ولايشبع تطلعاته.

وفى غمرة النقل الأدبى عن الغرب، كانت تتم فى كثير من الأحيان عمليات التشويه، والتعمية، والتدليس. واستغل المغرضون هذا التيار الجارف، فحملوا لنا من الغرب أسوأ أنواع البضاعة الأدبية.

وفى مقابل هذه العملية الكبرى، لم يجد أدباؤنا، أو الكثيرون منهم، مفراً من محاكاة الأدبى الغربى، سواء فى موضوعاته، أو فى صوره، وأساليبه. ونشأ بالتدريج أدب عربى مشوه .. لاهو بالأدب الغربى الجيد، ولا هو بالتعبير الحقيقى عن المجتمع العربى المسلم.

ثم جاءت الصحوة، وبدأ المسلمون يدركون أنهم على غير الطريق الصحيح، وأن ما ينتجه أدباؤهم فى غالبيته لا يعبر عنهم، ولا يكاد يمثلهم فى شيء.

ولهذا بدأت الدعوة إلى ضرورة إيجاد أدب إسلامى يعبر بصدق عن أحوال الشعوب التى تعتنق الإسلام، ويصور مشكلاتهم الحقيقية التى يعانون منها، كما يرسم لهم طريق المستقبل الذى يتطلعون إليه.

ومع ذلك، فإن الأدب الإسلامى، لا يرفض كل أنواع الأدب الأخرى. فهو يحترم الأدب الراقى فى كل لغات العالم، ويرحب بنماذجه المتميزة، وقد يتأثر بها، ويحاكى أسلوبها ... ولكنه يظل متمسكاً بمضمونه الأساسى، داعياً إلى المثل العليا، والقيم السامية التى نادى بها الإسلام، والتى تحترم كرامة الإنسان، وتنمى فى أعماقه قيم الحق، والخير، والجمال.

إن إحياء الأدب الإسلامى يتطلب من أدباء المسلمين أن يرجعوا إلى النماذج الجيدة، التى تم إنتاجها منذ ظهور الإسلام، وحتى اليوم. وهذه النماذج موجودة فى صورة نثر رائع، وشعر متميز. وحين يستوعبون هذه النماذج، ستصبح بالنسبة لهم نقاط انطلاق، إلى إنتاج نماذج أخرى معاصرة.

وهنا نقطة جديرة بالاعتبار: إذ ليس الأدب الإسلامى فقط، هو الأدب المكتوب باللغة العربية، وإنما يشمل إلى جانب ذلك الأدب الإسلامى المكتوب بالفارسية، والتركية، والأوردية، وسائر لغات المسلمين فى شتى بقاع العالم.

وفى نفس الوقت، لابد من رفض الأدب الذى سبق إنتاجه فى العالم الإسلامى، دون أن يكون صادراً عن قيم الإسلام الأساسية. فليس من الأدب الإسلامى: التغنى بالخمر، أو الغزل الحسى بالمرأة والغلمان. وليس من الأدب الإسلامى: التفاخر بالحسب والنسب، ولا المدح المبالغ فيه.

وهكذا نرى أن إحياء الأدب الإسلامى يتطلب عدة أمور:

أولاً: البحث عن النماذج الأدبية التى تتمشى مع مبادئ الإسلام.

ثانياً: رفض النماذج الرديئة، التى لا تمثل روح الإسلام، بل على العكس تكاد تتعارض معه.

ثالثاً: متابعة النماذج الأدبية العالمية والاستفادة من أساليبها الفنية، ومناهجها المتنوعة.

وأخيراً: الالتزام بالتعبير الصادق عن قضايا الأمة الإسلامية، مع استشراف حلولها من مصادر دينها الحنيف.

تلك هى مسئولية الأدباء، فى بعث الأدب الإسلامى من جديد. وتبقى بعد ذلك مسئولية الأجهزة المعنية فى الدول الإسلامية، لتشجيع هذا الأدب على الظهور والانتشار.

ونحن نعلم جيداً أن وسائل الإعلام الحديثة، أصبحت قوة رهيبة لا يمكن تجاهلها .. فعن طريقها يمكن يمكن إيصال صوت الأدب الإسلامى إلى سائر فئات المجتمع، بل وإلى سائر المجتمعات الأخرى.

كذلك فإن ترجمة الأدب الإسلامى إلى اللغات الأخرى أمر ضرورى، فلا معرفة بأدب أمة من الأمم إلا عن طريق الترجمة..

ونحن فى هذا المجال نحتاج إلى وسائل وإمكانيات. لكننا مع الرغبة الصادقة يمكن أن نحصل عليها، ونجيد استخدامها. وعندئذ سوف يكون للأدب الإسلامى صوته المسموع، ومكانته التى يستحقها.

يضاف إلى ذلك كله: تشجيع إنتاج الأدب الإسلامى، برصد الجوائز، والمكافآت المجزية، حتى تجذب له أكبر قدر من الأدباء. وحبذا لو وضعت جائزة باسم "**جائزة الأدب الإسلامى**"، يحصل عليها فى كل عام من ينتج عملاً، أومجموعة أعمال أدبية متميزة فى إطار الأدب الإسلامى.

لقد قيل بحق: إن الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة. وفى تصورى أن الرغبة لدى كل المسلمين متوافرة، وأن حسن النوايا موجود، ولم يعد إلا البدء بتلك الخطوة المباركة، على طريق الأدب الإسلامى؛ من أجل نهضته، وفى سبيل الارتقاء به.



مصادر الأدب الإسلامى

الواقع أن مصادر الأدب الإسلامى تمثل أساساً هاماً فى محاولة تحديد هويته، وإحياء منابعه الجديدة، والنهضة به فى عالم اليوم، ليصبح صوتاً معبراً عن الشعوب الإسلامية، ومرآة حقيقية لحاضر المسلمين.

إن القرآن الكريم هو مصدر المصادر لحياة المسلمين، فى جوانبها العقائدية والفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية. ونحن نضيف هنا: إنه مصدر أساسى لأدباء المسلمين، يغترفون منه بدون حدود، ويرجعون إليه على الدوام، فى سوره وآياته، فى عباراته وألفاظه، فى أحكامه وآدابه، فى قصصه وأمثاله، فى بسطه واختصاره، فى جمعه بين مخاطبة العقل وتحريك الشعور، فى ذلك التنوع الفنى الذى يقدم المعلومة ممتزجة بالموعظة، ويعرض التاريخ مقروناً بالاعتبار.

إن بلاغة القرآن كانت، وما تزال موضع اهتمام الباحثين. وكل منهم يقبس منها جانباً واحداً فقط، دون أن يستطيع الإلمام بكل جوانبها .. فهى بين أيديهم كالماسة المتعددة الأوجه، ينبعث من كل وجه منها شعاع متألق..

ثم يلى ذلك بلاغة الأحاديث النبوية، وما تشتمل عليه من حكم، وأحكام، ووصايا.. مصوغة فى أروع نظام، ومركزة إلى أبعد حد. يقول الرسول ﷺ: "أوتيت جوامع الكلم" وهذا معناه: القدرة على اختصار المعانى الكثيرة فى العبارات القليلة الألفاظ.

والسنة النبوية لاتحتوى فقط على أقوال الرسول ﷺ ، وعباراته، بل إنها تتضمن مواقف كاملة: كان يتحدث فيها مع الصحابة (رضوان الله عليهم)، ويسألهم، ويسألونه.. وكان السؤال منه ﷺ فى معظم الأحيان للتقرير، وللانطلاق من إجابته إلى موضوع آخر.

كما تمتلئ السنة النبوية بضرب الأمثال ذات الدلالات المعبرة، وتحتوى على قدر هائل من الصدق فى الخطاب، والنصح الخالص للأمة.

ومازلنا نقول عن أى أدب عالمى جيد إنه لابد أن يكون صادقاً، أى معبراً بأمانة عن انفعالات صاحبه، ومتجهاً بكل إخلاص إلى قرائه.

ثم بعد القرآن الكريم، والسنة النبوية، تأتى من مصادر الأدب الإسلامى: أقوال الصحابة والتابعين وعلماء السلف، التى هى فى الواقع خلاصة حية لتجاربهم المستوحاة من دينهم الحنيف، وتتنوع هذه الأقوال فى صورة خطب، ومكاتبات، وتوقيعات، ووصايا، وتوجيهات..

روى أن أحد عمال البصرة كتب إلى عمر بن عبد العزيز يطلب منه مبلغاً مبالغاً فيه لينفقه على بناء دار الولاية، فكتب عمر بن العزيز: "أدارك فى البصرة، أم البصرة فى دارك؟!" وهذا من أبلغ نماذج توقيعات الخلفاء التى كانوا يعلقون بها على ما يرد إليهم من مكاتبات ..

نصل بعد ذلك إلى ما أنتجه الشعراء والكتاب من شعر ونثر، يتميز بطابع إسلامى أصيل .. بدءاً من شاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابت، وما قاله كعب بن زهير فى الاعتذار للرسول ﷺ ومدحه هو والصحابة، ثم الشعر العذرى العفيف الذى تغنى به الشعراء خلال العهد الأموى، والشعر الذى يمجد صفات البطولة فى الحرب، وأخلاق الفروسية فى زمان السلم، خلال عهد الدولة العباسية، إلى جانب الشعر الصوفى الذى تغنى به أولئك الشعراء المهيمون فى الحب الإلهى.

ولا يمكننا أن نوافق على مقولة أطلقها أحد نقاد العرب بشأن العلاقة بين الشعر والدين، فقد قال هذا الناقد: "إن الشعر بمعزل عن الدين، وأن الدين إذا دخل الشعر أضعفه" .. إن هذه المقولة غير صادقة .. فهناك الكثير من القصائد الدينية التى بلغت مستوى عالياً من الجودة الفنية. ولا يرجع السبب فى ضعف مستوى الشعر إلى أنه يتناول أغراضاً دينية، وإنما السبب الحقيقى يكمن فى ضعف مستوى الشاعر نفسه، الذى يتعرض لهذه الأغراض، دون أن تكون لديه الملكة، والمقدرة الفنية ذات المستوى العالى لكتابة شعر متميز فيها.

لكننا هنا بحاجة إلى وضع معايير يتم على أساسها تنقية الشعر العربى، وكذلك النثر العربى، من النماذج التى لاتتمشى تماماً مع مبادئ الإسلام، والتى جرى اعتبارها أدباً إسلامياً، مع أنها أبعد ما تكون عن هذا المصطلح الراقى.

إن أشعار أبى نواس فى الخمر، وغزليات بشار بن برد الماجنة، ومفاخرات ومنافرات الفرزدق، وجرير، وتجديفات أبى العلاء المعرى، والمدح المبالغ فيه

لدى المتنبى .. كل هذا لايعد من قبيل الأدب ذى التوجه الإسلامى، وإنما يمكن أن يظل فى نطاق الأدب العربى.

لكن ما أنتجه هؤلاء الشعراء من قصائد لاتمس العقيدة الإسلامية، أوالمبادئ الإسلامية، هو ما ينبغى أن نقبله، ونعيد قراءته، واستلهامه .. بينما ننفى ونرفض ماكتبوه متعارضاً مع الإسلام ومبادئه..

وإلى جانب ما سبق، ينبغى عدم تجاهل ما أضافته الشعوب الإسلامية خلال تاريخها الطويل، من آداب الأمم الأخرى، التى وجدتها متمشية مع قيم الإسلام، وغير متعارضة معها.

ويكفى أن أشير، فى هذا الصدد، إلى كتاب "كليلة ودمنة" الذى تم تأليفه فى الهند، ثم نقل إلى اللغة الفارسية القديمة، ومنها إلى العربية، خلال القرن الثانى الهجرى، وأصبح من أهم معالم الأدب العربى الذى يتمشى تماماً مع الإسلام.

لقد كان لدى أجدادنا حس أدبى مرهف، استطاعوا به أن يقبلوا بعض عناصر الآداب لدى الأمم المجاورة لهم .. وقد طعموا بها الأدب العربى، دون أن يطغى ذلك التطعيم على كيانه الخاص، أو شخصيته المتميزة، بل على العكس كان هذا التطعيم الأدبى مبعث قوة، وعاملاً من عوامل الأصالة، والجودة ..

وما أحرانا اليوم، ونحن نتتبع مصادر الأدب الإسلامى، ألا نغفل عن عملية التطعيم اللازمة للأدب الإسلامى، بخلاصة التجارب الأدبية للأمم الأخرى. ومن المؤكد أن هذه العملية سوف تفيد الأدب الإسلامى فى الحاضر، والمستقبل، كما أفادت الأدب العربى على أيدى أجدادنا فى الماضى.



مستقبل الأدب الإسلامى

يتشكك البعض فى إمكانية قيام، أو استمرار أدب إسلامى متكامل .. ويعتمدون فى ذلك على حجتين:

الأولى: قلة النماذج السابقة له.

الثانية: ضعف المستوى الفنى لنماذجه الحالية.

والواقع أن الحكم بقلة النماذج السابقة حكم متسرع. وسيتبين لنا بعد قليل أنه يصدر عن نظرة ضيقة لمفهوم الأدب الإسلامى. وإذا كنا سنقصر حديثنا هنا عن الأدب العربى، أو بمعنى أدق الأدب الإسلامى المكتوب باللغة العربية، فنحن نعلم أنه قد وصلنا فى صورة شكلين أساسيين هما:

الشعر ، والنثر

وعلينا أن نلاحظ أن الشعر كله بقصائده الطوال والمتوسطة، وبمقطوعاته الصغيرة، وأبياته المفردة، لم يتم تسجيله فى البداية عن طريق الكتابة، لأنه كان يعتمد على الحفظ الشفهى، وبالتالى فقد ضاع منه جزء كبير. أما ما وصلنا حتى الآن فهو جزء من أجزاء كثيرة، مازالت مخطوطاتها مبعثرة فى مختلف مكتبات العالم.

وهكذا يظهر أن الحكم بقلة النماذج، لايعتمد على قاعدة صلبة من الاستقراء الشامل والإحصاء الدقيق.

أما الشكل الثانى، وهو النثر، فهو يتوزع بين الخطب والمراسلات، ووصف المواقف التى كانت تحدث بين الأدباء، والتعرض لما كان يدور فى بلاط الحكام، ودواوين الإنشاء.

وهذا الشكل قد تعرض ـ أكثر من الشعر ـ لقدر أكبر من عدم التسجيل الكتابى.

وهكذا فإن ما وصلنا حتى الآن من الشعر والنثر لا يمثل (كل) أو (جميع) ما كتبه الشعراء والأدباء.

أما دعوى ضعف المستوى الفنى فيما يتم إنتاجه من أدب إسلامى فى العصر الحاضر، فلا يمكن التسليم بها على طول الخط .. لأن الأدب الإسلامى

ينبغى أن ينشأ من أجله نقد أدبى إسلامى، يراعى أول ما يراعى اتجاه هذا الأدب فى أهدافه، ومضمونه، وجهة إسلامية صحيحة. ثم بعد ذلك يمكن تطبيق الأسس والمعايير النقدية الفنية عليه..

وهذا يعنى أن الأدب الإسلامى يحتاج إلى مستويين من النقد:

نقد المضمون، ونقد الشكل. وهذا مالم يتم حتى الآن بصورة متكاملة.

ومع ذلك، فإننا بالبحث الدقيق والاستقراء، يمكننا أن نعثر على مجموعة من النماذج الشعرية والنثرية من الأدب الإسلامى الجيد، والذى يرقى فى مستواه الفنى إلى مصاف الأعمال الأدبية الكبرى.

وسيبقى دائماً أن الأديب الجيد هو الذى يمكنه أن ينتج أدباً جيداً، وأن الأديب المتوسط أو الردىء هو الذى يهبط بمستوى الأدب، مهما كان مضمونه أو محتواه. إن العبرة هنا تكمن فى طريقة التناول، وهى بالضرورة تختلف من أديب إلى آخر.. وما ذنب الأدب الإسلامى حين يتعرض للكتابة فيه أدباء متوسطون، أو أقل من المستوى المتوسط، إنه سوف يتحول على أيديهم إلى مجرد مواعظ مباشرة، أو قص ممل.

وإن استعراض المدائح النبوية التى كتبت فى ذكرى مولد الرسول ﷺ يمكن أن يطلعنا ببساطة على هذه النتيجة. فسوف نرى الكثير من القصائد التى تحتفل بذكرى المولد، وتهفو إلى أيام الرسالة الأولى، وتتغنى بفضائل الرسول ﷺ. وأخيراً فإنها تنتهى عادة بالتحسر على أحوال المسلمين، وتنعى عليهم ابتعادهم عن اتباع الأسوة الحسنة فى رسول الله ﷺ.

ذلك هو الموضوع الذى يتكرر فى كل قصائد هذا النوع الأدبى.. ومن الممكن اعتباره أدباً إسلامياً من حيث مضمونه وشكله معاً. لكن المشكلة تتمثل فى الأسلوب الفنى الذى يتناول به كل شاعر ذلك الموضوع المتجدد فى كل عام ..

وهنا ينبغى على النقد الأدبى الإسلامى القيام بمهمة صعبة، تتمثل فى جمع هذا التراث الشعرى عبر العصور، ثم التصدى للموازنة بينه حتى يظهر الجيد من الردىء، ويتميز الأصيل من الزائف .. وأنا على ثقة من أن هناك نماذج أدبية رفيعة المستوى، لكنها بحاجة إلى اكتشاف، وتحليل ، وتقييم.

من العرض السابق يتبين أن الأدب الإسلامى برىء مما يحاول البعض أن يلصقه به من أجل القضاء عليه، أو سد الطريق أمامه .. بل على العكس، إن أمام هذا الأدب، فى القرن القادم، مستقبلاً واعداً .. وهو – وإن كان اليوم فى سبيل النهضة يخطو على استحياء – فإن الغد يحمل له الكثير من الإمكانيات الواعدة.

لكن الطريق أمام الأدب الإسلامى ينبغى أن يكون واضحاً، والسير فيه يحتاج إلى زاد كاف .. فلا ينبغى أن يتصدى للأدب الإسلامى إلا كل من يجد فى نفسه الموهبة القوية، والتوجه الإسلامى الصحيح .. من يكون على دراية بتاريخ المسلمين، وعلى وعى عميق بحاضرهم .. من يعرف جيداً قوانين الحركة الكامنة فى العالم الإسلامى، وكيفية استخدامها .. من يكون على اطلاع واسع على مختلف الآداب العالمية، عارفاً بأسباب تميزها وتأثيرها .. من يكون على دراية واسعة بنفسية الشعوب الإسلامية: ما تتألم منه، وما تحلم به.

ذلك هو الأديب الموعود الذى ينتظره الأدب الإسلامى، لكى يفجر طاقاته، ويصل به إلى المستوى العالمى المنشود.

وإذا كانت مسيرة الألف ميل تحتاج دائماً إلى الخطورة الأولى، فيمكن القول باطمئنان وتفاؤل: إن هذه الخطوة قد بدأت بالفعل.. بدأت بصحوة العالم الإسلامى، وبحرصه على أن يعاود مسيرته من أجل التقدم .. بدأت بانتشار التعليم فى معظم أرجاء العالم الإسلامى .. بدأت باطلاع المسلمين على أحوال الأمم التى سبقتهم فى مضمار التقدم المادى.. بدأ ذلك كله ليهيئ الأرض لبذور الأدب الإسلامى، التى نرجو من العاملين المخلصين أن يتعهدوها بالرعاية والعناية حتى تؤتى ثمارها فى أقرب وقت.

ويهمنى أن أنتهز هذه المناسبة لأوجه كلمة إلى القائمين على الإعلام العربى، والإسلامى، وهى تتمثل فى رجاء حار بتبنى الأدب الإسلامى، ورعاية كتابه، ونشر نماذجه، فقد أصبح للإعلام فى عصرنا الحاضر قوة هائلة فى سرعة التوصيل، واتساع مدى البلاغ.

ومن المؤكد أن الأدب الإسلامى – مهما التزم بشروطه، وأخلص الكتاب فى إنتاجه – سيظل محدوداً فى انتشاره، مالم تقم وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية بدورها المطلوب، فى الاهتمام به، والعمل على نشره، وذيوعه ..

الأدب الإسلامى، والأجناس الأدبية

فى الماضى، كان الأدب الإسلامى مقصوراً على الشعر والنثر. أما الشعر فهو ـ كما نعلم ـ عبارة عن قصائد طويلة أو مقطعات قصيرة تتناول موضوعات، تم على مدى العصور الأدبية استقرارها، وهى المدح والفخر والرثاء والغزل والهجاء والوصف .. بل إن كل نوع من هذه الأنواع جرى العرف على أن يكون له نظام معين، عرف فيما عرف بـ "عمود الشعر".

ففى مجال المدح: يبدأ الشاعر بالغزل فى محبوبة حقيقية أو متخيلة، ثم يعرج منها على وصف رحلته الشاقة فى الصحراء، وما يتبع ذلك من وصف دقيق لناقته التى تحمله .. مضخماً بالطبع، الصعوبات التى صادفته، ثم ينتهى الأمر بأن كل شىء سيكون على مايرام بفضل الممدوح الذى قصده من هذا السفر الطويل، والذى سيعمل بالتأكيد على إعادته غانماً، ومحملاً بالعطايا والمنح.

أما النثر، فهو عبارة عن مراسلات كانت تجرى بين الأدباء، أو خطب كان يلقيها بعض البلغاء. وقد تم جمع نماذج كثيرة من هذه المراسلات والخطب، وأصبحت تمثل ما يطلق عليه "النثر العربى".

وفى إطار النثر شاع فى العالم الإسلامى ما يعرف بأدب القصاص، وهو عبارة عن حكايات متخيلة، تحكى مواقف معينة، بقصد التأثير فى الجماهير الذين كانوا يعجبون بها كثيراً، وينتهى بهم الحال بإعطاء صاحب القصة مبلغاً مناسباً، كان يتفاوت تبعاً لجودة القصة أو رداءتها.

ولأن هذه القصص كانت تلقى فى الغالب لعامة الناس، فإن اللغة الأدبية الراقية لم تكن تراعى تماماً فى صياغتها .. وهذا ما وصلنا فى قصة "ألف ليلة وليلة"، وقصة "سيف بن ذى يزن"، وقصة "الظاهر بيبرس"، وغيرها مما يمكن أن نطلق عليه الآن الأدب الشعبى فى العالم الإسلامى.

وعلى الرغم من قلة الأنواع الأدبية التى ظهرت لدى المسلمين فإن المتأمل فى موضوعاتها وفنونها يجد أنها كانت تلبى معظم حاجات المجتمع الأدبية، فتقدم له المتعة والتسلية، إلى جانب الحكمة، والموعظة، وتخاطب عقله كما تستثير خياله.

وكان القص الشفوى أو الإلقاء المواجه للجماهير هو وسيلة نقل هذه الأنواع الأدبية .. بينما كان الاعتماد على القراءة لنصوص مكتوبة، مقتصراً على خاصة من الناس، كانوا يتبادلونها بحرص شديد.

وفى العصر الحديث، بدأت المجتمعات الإسلامية تزيد من اتصالها بالغرب، فتجد فيه أنواعاً أخرى تتمثل فى: القصة القصيرة، بمفهومها المحدد، والرواية الطويلة ببنائها المحكم، والمسرحية بتخطيطها المسبق، إلى جانب المذكرات الشخصية، والسيرة الذاتية .. إلخ.

وكان من الطبيعى أن يتم التبادل الثقافى والأدبى، فراح الأدباء العرب، والمسلمون يقبلون على محاكاة هذه الأنواع، وقام عدد من العارفين باللغات الأجنبية بترجمة العديد من نماذجها الغربية إلى اللغة العربية، مما أضاف إلى الأدب العربى والإسلامى ثروة جديدة، أخذت تتأصل مع مرور الوقت، حتى بدأ يظهر لدينا كتاب متخصصون فى القصة القصيرة، وآخرون فى الرواية، وآخرون فى المسرحية..

ولم يتوقف الحال على مجرد الإجادة فى المحاكاة، بل إن عدداً من كتاب العرب والمسلمين، قد أظهر تفوقاً فى هذه الأجناس الأدبية الجديدة، مع استمرار الشعر كجنس أدبى قدِيم، يحتل فى نفوس الناس مكانة خاصة.. ولم يعد للنثر باعتباره نثراً، مكانة تذكر، اللهم إلا إذا تم وضعه فى إطار أدبى محدد.

إن هذه القوالب الأدبية، والفنية الجديدة التى تمت إضافتها إلى الأدب العربى والإسلامى ينبغى أن تكون موضع اهتمام بالغ من دعاة الأدب الإسلامى، باعتبارها قنوات اتصال معاصرة لإبلاغ الخطاب الإسلامى الصحيح من خلالها إلى القراء المعاصرين، سواء من المسلمين أو من غيرهم.

وليس من الضرورى أبداً أن تكون المسرحية ذات عنوان إسلامى، أو ذات صبغة تاريخية لتكون مسرحية إسلامية، فالمهم هو المضمون، أو الرسالة التى تهدف لتوصيلها ..

إن موضوعاً معاصراً من الحياة الاجتماعية البسيطة يمكن أن يتم تناوله ليصبح رسالة إسلامية يكون لها فى نفوس القراء والمشاهدين، أبلغ الأثر ..

إننى أشير هنا إلى أحد المزالق التى يقع فيها كتاب "الأدب الإسلامى"؛ وذلك حين يظنون أن الإسلام، هو الماضى وحده، أو هو التاريخ وحده. على العكس، فالإسلام هو الماضى، والحاضر، والمستقبل، وينبغى أن يكون الأدب الصادر من منطلقاته شاملاً لهذه الأبعاد الثلاثة.

بقى أن أشير إلى جنس أدبى توجد له نماذج جيدة فى أدبنا العربى — الإسلامى، وقد شاع هذا الجنس الأدبى فى أوروبا، وله فيها لديهم كتاب كبار، وقراء على مستوى واسع. وهو الخواطر الذاتية التى يضع فيها الكاتب خلاصة تجربته فى الحياة، ويطلق عليها بالفرنسية: Journal.

ومن أهم النماذج التى أشير إليها فى هذا الصدد كتاب (صيد الخاطر) لابن الجوزى، الذى كتبه على هيئة خواطر يومية كانت تسنح له فى لحظات متفرقة، وتتعرض لمختلف الموضوعات النفسية، والأخلاقية، والاجتماعية، والذاتية، والفكرية، وأراد الرجل أن يسجلها لما وجده فيها من فائدة للآخرين. وخيراً فعل، فإن هذه الخواطر لمن يقرأها الآن تكاد تكون هى الخواطر التى ترد على روح المسلم وقلبه من وقت لآخر .. وسوف يجد فيها نفسه، ويستشعر فى أسلوبها السهل المبسط والبليغ فى نفس الوقت صدق العاطفة، وحرارة المشاعر، مع الالتزام بالتوجه الإسلامى الصحيح الذى سبق أن أشرنا إليه كشرط أساسى لأى أدب إسلامى.



الأدب الإسلامى بين المرح والتجهم

يظن البعض خطأ أن الأدب الإسلامى ينبغى أن يكون أدباً صارماً، جافاً. ولأنه سيأمر بالفضيلة، وينهى عن الرزائل، فسوف يصبح ضرباً من الخطب والمواعظ، ويبتعد بالتالى عن المرح، والترفيه عن النفوس.

والواقع أن هذه المقولة تحتوى على وهم كبير. فلا يوجد فى الإسلام ما يمنع المرح، ولا اللهو البرىء .. وإنما فيه ما يمنع العبث، واستثارة الغرائز، وكل ماهو مضاد للطبيعة البشرية فى صفائها وفطرتها.

كان الرسول ﷺ يمزح، ولا يقول إلا حقاً. وتلك إحدى الأسس التى ينبغى أن يتمسك بها الأدب الإسلامى. فالمزاح بدلاً من أن يتجه للاستهزاء من الآخرين، أو السخرية بالإنسان الذى كرمه الله تعالى، ينبغى أن يتجه وجهة إصلاحية بنائية. وكلنا نعرف الحديث النبوى، الذى قال فيه الرسول ﷺ: إن الجنة لا يدخلها عجوز، فانزعجت امرأة كبيرة فى السن لذلك القول كثيراً، ولكنه ﷺ، عاد فطمأنها ـ مبتسماً ـ بأن الله تعالى سوف يعيد الناس فى الآخرة إلى أفضل حالاتهم، وأنها ستصبح شابة.

بكل تأكيد هذا موقف مرح، ولكنه مرح برىء، ينتهى بمعلومة، عن الحياة الآخرة، لم تكن تعرفها المرأة، ولا الصحابة الجالسون حول الرسول ﷺ.

كان صهيب بن سنان مزاحاً. فقال له النبى ﷺ: أتأكل تمراً، وبك رمد؟!

فقال: يا رسول الله، إنما أمضغ على الناحية الأخرى!

وهكذا، فإن المرح المطلوب فى الأدب الإسلامى ينبغى أن ينطلق من أمثال هذه المواقف، حتى يمكنه بالتالى أن يغطى جوانب النفس البشرية فى حالتى الخير والشر، والرضا والغضب، والعدوانية والمسالمة ..

وفى الأدب الإسلامى، هناك عمل للجاحظ يظل نموذجاً رائعاً لأدب المرح الذى لا يخرج عن آداب الإسلام. كتب الجاحظ (المتوفى سنة ٢٥٥ هـ) كتاب "البخلاء"، مصوراً فيه بريشة الكاتب المتمكن، مواقف الإنسان تجاه ظاهرة البخل، التى كانت قد انتشرت على عهده.

ولايمكن أن نتصور كاتباً يريد أن يهاجم داء البخل المستشرى فى النفوس، والذى يمكن أن تكون له آثار سيئة على المجتمع، بغير الطريقة التى ألف بها الجاحظ كتابه. فالكتاب ملىء بالطرائف والنوادر التى ترسم البسمة على الشفاه، وقد تدفع للضحك فى أحيان كثيرة. وهذه الطرائف تكاد تتماثل مع الرسم الكاريكاتيرى الذى يركز على بعض العيوب فيكبرها، وما ذلك إلا لكى يتنبه لها أصحابها، ولكى يحذر من محاكاتها باقى أفراد المجتمع.

يورد لنا الجاحظ فى كتاب "البخلاء" نموذج البخيل الذى يبخل على نفسه، فيخرج الدرهم من كيسه، ويظل يخاطبه، ثم يعيده إلى مكانه، بدلاً من أن يشترى به لنفسه حاجة ضرورية، مستمتعاً فى ذلك بنار الحرمان على جنة الإنفاق.

ويقدم لنا نموذج البخيل الذى كان لا يعطى أمه إلا درهماً واحداً فى كل عام، وتهمس أمه لصديقتها قائلة: إنه كان أحياناً مايغالطها فى عام!

ويصور الجاحظ البخيل على زوجته وأهل بيته، عندما كانوا يشتهون شيئاً، فيذهب إلى السوق لشرائه، وعندما يلتقى بأحد الحواة، وقد لف على رقبته ثعباناً لكى يحصل من المشاهدين على درهم، فيقول لنفسه: إذا كان هذا الرجل قد عرض نفسه للهلاك من أجل درهم، فكيف أذهب أنا على قدمى لكى أنفقه من أجل رغبة عابرة لزوجتى، ويعود لها دون أن يشترى ما أرادت .. وهنا يعلق الجاحظ قائلاً: إن أهله كانوا يتمنون الخلاص منه .. حتى ولو بالموت!

وهناك العديد من نماذج البخل على الأقارب والأصدقاء، وعلى الخدم، وفى مجال العلاقات العامة.

ولاشك أن البخل داء مدمر للفرد، والمجتمع، فهو يحرم الفرد من الاستجابة حتى لمتطلباته الضرورية، لكن الأدهى أنه لا يصنع مجتمعاً متضامناً متكافلاً، يعطف فيه الغنى على الفقير، ويتواصل فيه الناس بالهدايا، والتبرعات.

ومن أجمل ما فى كتاب "البخلاء" للجاحظ أنه يحكى أنهم كانوا يكونون شبه جمعية، يجتمعون فيها لتذاكر أصول البخل، ويعاتبون بعضهم بعضاً على ما يرتكبونه أحياناً من تهمة الإنفاق.

وعندما يذكر الجاحظ اسم أحدهم، يسرع فيقول لقرائه: لاتظنوا بى شراً، فتقولون إن أبا عثمان (يعنى الجاحظ نفسه) يشهر بأصحابه. فإن هذا الشخص الذى ذكرت اسمه لكم لو علم أنى تحدثت عن نوادره فى البخل دون أن أذكر اسمه لغضب منى كثيراً. فهو حريص على أن يعرف شخصه حتى يتجنبه الناس، وحينئذ لا يطمعون فى شىء من ماله، ولايقتربون منه طالبين شيئاً، أو سائلين معروفاً.

إن كتاب "البخلاء" للجاحظ يعد تحفة نادرة من الأدب الإسلامى المكتوب باللغة العربية .. وقد أدرك العالم كله قيمته، فتمت ترجمته إلى الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، وغيرها من اللغات الحية .. ويمكن اعتباره من صميم الأدب الإسلامى، أى الذى يصدر عن أديب مسلم، يحرص فى نفس الوقت على الالتزام بقيم الإسلام، ومبادئه السامية.

كذلك سوف نلتقى فى الموسوعات الأدبية العربية بأقسام بكاملها تتحدث عن المواقف الضاحكة، وتشيع البهجة والمرح فى نفوس قرائها .. ومن الأمثلة على ذلك: كتاب "الكامل" للمبرد، و "الأغانى" لأبى الفرج الأصفهانى، و"العقد الفريد" لابن عبد ربه، و "المعارف" لابن قتيبة. و"زهر الآداب" للحصرى. كما أن هناك مؤلفات قصد بها أصحابها قصداً إلى إشاعة البهجة فى نفوس قرائها، ومن أشهر الأمثلة على ذلك كتاب "المستطرف فى كل فن مستظرف" للأبشيهى.

إن هذا كله يثبت ويؤكد ماذهبنا إليه من أن الأدب ينبغى أن يخاطب النفوس فى حالتى سرورها وحزنها، وفى جانبى سعادتها، وشقائها. والأدب الجيد الذى يتسم بالعالمية، هو الأدب الكامل الذى يخاطب العقل، والقلب، والوجدان. ومن المؤكد أن القلوب تصدأ، وأن قدراً من الابتسام هو الذى يجلو صدأها. وأن النفوس قد تتبلد من فعل العادة المتكررة، وأن قدراً مستحباً من المرح هو الذى يخرجها من بلادتها، وكآبتها.



الأدب الإسلامى والأشكال المستحدثة

ظهر فى العصر الحديث ما يسمى بالمسلسل التلفزيونى، الذى تطور عن المسلسل الإذاعى، وهذا تطور بدوره عن المسلسل القصصى أو الروائى، الذى كان ينشر على حلقات فى الصحف، والمجلات، والذى كان يعرض أحياناً على هيئة صور متلاحقة، تحكى قصة معينة.

شاع هذا اللون أولاً فى أوروبا وأمريكا، واستطاع بسبب الكفاءة الفنية العالية، فى التصوير، والإخراج الفنى، أن يكون له تأثير كبير فى الجماهير. وكما أشرت الآن، فقد بدأ هذا اللون الجديد فى عرض روايات مسلسلة، عن طريق الصور المتلاحقة فى مجلة أسبوعية، بل إن بعض المجلات تخصصت بالكامل فى نشر هذا اللون الذى كان إقبال القراء عليه منقطع النظير.

ومن صفحات المجلات، انتقلت المسلسلات (أى الرواية المجزأة فى حلقات) إلى الإذاعة أولاً، ثم إلى التلفزيون، بعد ذلك.

وقد وجد كتاب هذا اللون الجديد من القراء فى البداية، ثم من المستمعين للإذاعة، وأخيراً من المشاهدين للتلفزيون، استجابة هائلة فاقت كل تصور، فأقبلوا على كتابتها، وشجعهم على ذلك ما تدره من ربح وفير، ليس على الكتاب وحدهم، وإنما على المخرجين، والممثلين، والفنيين المشتركين فيها .. وأخذت تلفزيونات العالم كله تتسابق، بل تتنافس فى إنتاج المسلسلات، وتنفق عليها بسخاء، حتى أصبحت حالياً هى أهم ما يقبل عليه الجماهير بلا استثناء (تشير إحصائية حديثة إلى أن نسبة مشاهدة التلفزيون فى بعض البلاد العربية حين إذاعة المسلسل التلفزيونى اليومى تتجاوز الـ (٩٠٪) وفى البلاد الغربية تقترب من (٧٠٪).

والواقع أن نجاح هذا النوع الأدبى الجديد، يرجع لعوامل اجتماعية، وثقافية. فالإنسان المعاصر، لم يعد لديه وقت كبير للقراءة، التى تحتاج منه إلى جهد، وتتطلب مكاناً هادئاً، ووقتاً كافياً، ونوعية جيدة من الكتب التى تشد انتباهه، وهو يعود من عمله فى آخر اليوم مرهقاً. وكذلك المرأة التى تظل تعمل فى الخارج، أوفى المنزل تحتاج إلى قدر من الراحة. وينتهز التليفزيون عادة وقت الراحة فيقدم المسلسل فى وقت فراغ الأسرة، التى يلتئم شملها حوله، ومع مرور الوقت ترتبط

بموضوع المسلسل، وتتابع مشكلات أبطاله، وتتدخل أحياناً باقتراحاتها وحلولها الخاصة. وعندما تلتقى الأسر بعضها ببعض تتحدث عن المسلسل، وكفاءته، أو هبوطه، وبذلك، تحوله إلى مادة للحديث والتسلية. وهكذا أصبح هذا النوع الأدبى الجديد موضع اهتمام بالغ من الإنسان فى العصر الحديث.

وهناك مسلسلات تليفزيونية، يمكن أن نقول عنها إنها أصبحت عالمية، بسبب عرضها ومتابعتها فى أكثر بلاد العالم، رغم أنها من إنتاج بلد معين. والسبب فى ذلك، يرجع إلى عوامل منها: الذكاء فى اختيار موضوعات تهم الغالبية من البشر، وتتجاوز حدود المكان. كما أنها تستفيد فى أحيان كثيرة من الوسائل الفنية الحديثة، التى تجذب انتباه المشاهدين، بالإبهار، والإغراب، وغيرهما. وقد تبين من متابعة المسلسلات التليفزيونية ذات الصبغة العالمية، أنها تتطلب، قصة جيدة، يصوغها كاتب متمكن، قادر على جذب انتباه المشاهدين، كما أنها تحتاج إلى إخراج متميز، وممثلين أكفاء، وإمكانيات فنية، ومادية كبيرة. ومن الواضح أن هذا كله لايضيع سدى، فهو يعود بمردود مادى على أصحابه، كما أنه يقوم بدور هام فى تشكيل وجدان الناس، ويؤثر بالضرورة فى سلوكياتهم.

وهنا لابد أن نتساءل: إلى متى يظل الأدب الإسلامى بعيداً عن استغلال هذه الإمكانية الرهيبة؟ ولماذا لايقوم دعاته باستغلال تلك الفرصة التى يتيحها؟

ولكننى أسرع فأنبه إلى أن المسألة ليست بسيطة كما يتصور البعض. فلابد من الدراسة المتأنية، والإعداد الجيد، وتوفير الإمكانيات اللازمة. ويبقى أن أحد أهم عناصرها، وهو الكاتب الكفء الموهوب، لم يظهر بعد ..

وهكذا نلاحظ أن الطريق طويل، ولكن لابد من السير فيه، وخاصة إذا أدركنا قيمة ما يعود على المسلمين من خلاله. إن الإسلام رسالة، ولابد للرسالة من بلاغ. وأعتقد أنه مامن أحد يمكنه أن يقصر أسلوب هذا البلاغ على خطبة المسجد فقط، أو على الكتاب فقط، أو على الموعظة المباشرة فقط ... وإنما البلاغ قول، وعمل .. كلمة وقدوة .. وكذلك موقف درامى يمكن تقديمه، حتى يدرك الناس من خلاله حقيقة الخير، وسوء مآل الشر ...

ومادام هذا النوع الأدبى الجديد، قد استحوذ بهذه الصورة على عقول الناس، ومشاعرهم، فلابد من استغلاله .. وتلك إحدى الإمكانيات المفتوحة أمام الأدب الإسلامى ..

ومن المقرر أن الإنسان مجبول على حب سماع الأخبار، وعلى مشاهدة ما يحدث لغيره. وقد أدرك هذه الحقيقة طائفة القصاص فى العالم الإسلامى قديماً، فقدموا للناس حشداً هائلاً من القصص الواقعية ــ أحياناً ــ والخيالية فى معظم الأحايين. وقد استجاب لها الناس بشدة، وأقبلوا على رواتها فى إصغاء عجيب، كان ينتهى دائماً بمكافأتهم لقاء ما قدموه لهم من متعة قصصية مشوقة ..

وليست "ألف ليلة وليلة" وقصة "سيف بن ذى يزن" وقصة "الظاهر بيبرس" الشعبية، وغيرها، إلا مسلسلات شعبية انتشرت فى شتى أنحاء العالم الإسلامى، وكان لها من يتابعها بشغف، ويصغى إليها باهتمام ..

وهكذا فإن دعوتنا هنا لاستغلال إمكانية المسلسلات التليفزيونية، فى الأعمال الأدبية الإسلامية، ليست إنشاءً لشيء جديد تماماً، على العقلية العربية، أو الذوق العربى .. وإنما هى مجرد استمرار لتقليد قديم، لكنه يحتاج فقط إلى الاستعانة بالوسائل الفنية التى بلغت مستوى عالياً فى هذا الصدد.



الأدب الإسلامى والنقد الأدبى

لايوجد أدب بدون نقد. فالنقد هو الذى يكشف عن جوانب الجودة والجمال فى الأدب، كما أنه هو الذى ينبه إلى مواطن الضعف، والقبح فيه. والنقد الجيد مقياس دقيق، ودليل صادق، يساعد القراء على حسن اختيار النماذج الأدبية الرائعة، كما أنه يساعد الأدباء على تحسس مواطن أقدامهم، ومراجعة أسلوب عملهم من أجل التجويد والتحسين المستمرين.

والأديب الردىء هو الذى يغضب من النقد. فالناقد مرآة الأديب، يمكن لهذا الأخير أن يرى فيه صورته الحقيقية، ليس فقط بالنسبة لنفسه، وإنما أيضاً بالنسبة للأدباء الآخرين .. وبالطبع أستبعد هنا، تماماً، النقد الذى يصدر عن أغراض شخصية همها التجريح، والتشهير، أو الانتقام والتشويه.

ومنذ ظهر الأدب فى العالم صاحبه النقد. والأديب الحقيقى ينقد نفسه، قبل أن ينقده الآخرون. لكن نظرة الإنسان لنفسه، لن تكون أبداً منصفة، ولاموضوعية، لأن الطبيعة البشرية مجبولة على حب المديح، وبغض التقويم. وقليل من الناس هم الذين يقبلون من الآخرين إصلاح أحوالهم. وكثير من الأدباء لايقبلون أى كلمة استهجان لأعمالهم، مع أننا لو سألناهم عن رأيهم فى أعمال غيرهم لما ترددوا فى وصفها بالعيوب والنقص.

لكن النقد الجيد الصادر من ناقد يحترم كلمته، ويقصد النهوض بأدب أمته، قلما يخون القارىء والأديب. وهو مطالب بأن يكشف عن الحقيقة، ويقدر بميزان الصيرفى قيمة الأدب، وبالتالى مستوى الأديب بين أدباء عصره.

وإذا كنا بصدد الحديث عن أدب إسلامى، فلابد من أن يصحبه ويتبعه بالضرورة نقد أدبى. وإذا كان النقد الأدبى الغربى فى بعض مذاهبه واتجاهاته لايقيم اعتباراً للجوانب الروحية والأخلاقية، فمن واجبنا هنا أن نذكر بأن نقد الأدب الإسلامى ينبغى أن يتميز عنه فى الاهتمام بهذا الجانب. فهناك مسلمات فى الإسلام، أو بلغة العصر الحديث، ثوابت لاينبغى على أى عمل أدبى أن يتعارض معها أو يضعها موضع الشك، أو الاحتمال. لدينا العقيدة، والشعائر، والأخلاق، والتشريعات الإسلامية، المجمع عليها، وبالتالى فإن هذه المسلمات أو الثوابت

ينبغى أن تكون موضع اهتمام الناقد للأدب الإسلامى، بل إن الأدب الإسلامى نفسه، لا يستحق أن يسمى بذلك دون أن يصدر عن هذه الثوابت، ويداوم على تأكيدها واحترامها.

وعلى الناقد للأدب الإسلامى ألا يتحرج على الإطلاق من رفض أى عمل أدبى - حتى لو ارتفعت قيمته الفنية - وإدانة مضمونه إذا خرج عن إطار تلك المسلمات والثوابت. ولاينبغى أن يخيف ذلك أحداً، فإن الإسلام دين موجه للبشر جميعاً، وهو صالح لكل زمان ومكان، ومن هنا فإنه يتسع بمساحته للتعبير عن كافة احتياجات الإنسان: المادية، والروحية، والشخصية، والاجتماعية .. ثم إن ناقد الأدب الإسلامى، مطالب بعد ذلك بتطبيق أفضل ما توصل إليه فن النقد الأدبى فى العالم على العمل الأدبى الإسلامى، دون تحرج أو خشية، مع أن الأمر هنا لن يخرج عن إطار الأساليب، والوسائل الفنية، والمهارات الأدبية.

إن ظهور نقد أدبى بهذه الصورة سوف يكون فتحاً جديداً فى مجال النقد الأدبى العالمى، بل إن نقاد الأدب الإسلامى بإمكانهم أن يطبقوا معاييرهم الأخلاقية بالإضافة إلى مقاييسهم الفنية، على أى عمل أدبى فى العالم، وحينئذ سوف يتضح للجميع أن ما يطالب به هؤلاء النقاد هو نفسه ما تتطلبه القيم العليا، والمبادئ السامية.

فى العصر العباسى، قال أحد نقاد العرب إن "الدين إذا دخل الشعر أضعفه" وتلك مقولة خاطئة، أو على الأقل قاصرة، فربما نفهم منها أنه يريد أن يقول إن الشعر ينبغى أن يستخدم لغة الوعظ المباشر، والنصح المرتفع النبرة. ومع ذلك فإن الدين شيء، وأساليب الوعاظ به شيء آخر. فلكل منهم أسلوبه، وطريقته، ومنهجه. أما الدين كمبادئ وسلوكيات، كمثل عليا وأخلاق، فإنه من الضرورى أن يكون الهدف الأخير من أى عمل أدبى جيد، يطمح لأن يخاطب البشر جميعاً، بعد أن يتجه بخطابه أولاً إلى أبناء أمته ..

ويبقى دائماً أن إضافة البعد الإسلامى الخالص إلى مقاييس النقد الأدبى، القديم والمعاصر سوف تكون لها نتائج كبيرة فى إعادة تقييم الأعمال السابقة، التى مازلنا نعلمها لأبنائنا حتى اليوم، وفى تصحيح النظرة إلى الأعمال الأدبية الحديثة، التى يسرع بعضنا بالتصفيق لها قبل أن يدرك مدى خطورتها على القيم والأخلاق.

لكن ظهور نقد أدبى يواكب الأدب الإسلامى مرتبط دائماً بالنقاد الحاليين، ومدى تقبلهم لأهمية هذا الأدب النابع من واقع الشعوب الإسلامية، والمعبر بصدق عن روح الأمة الإسلامية.

وأعتقد أنه قد آن الأوان ـ بالنسبة لهؤلاء النقاد ـ أن يشعروا بالانتماء، أكثر فأكثر، لأمتهم الإسلامية، وأن يرتبطوا، أكثر فأكثر، بقيم الدين الإسلامى الذى هو قوام وجود هذه الأمة، وطريق مستقبلها. وكما يبذل هؤلاء النقاد جهداً كبيراً، ووقتاً أكبر فى معايشة النقد الغربى، واستلهام مبادئه ومعاييره، يصبح عليهم واجب دينى وقومى، وهو أن يبذلوا مثل هذا الجهد، والوقت فى معايشة الأدب الإسلامى، ثم القيام بعد ذلك بالوظيفتين اللتين هما دائماً من أهم وظائف النقد الأدبى: وهما تحليل الأعمال الأدبية الإسلامية، بقصد بيان عناصر الجودة فيها، وتبصير القراء بالنماذج المتميزة، وأسرار هذا التميز.



الأدب الإسلامى ونقده

(نموذج من التراث)

البحث فى التراث الثقافى فى الإسلام، يقود غالباً إلى اكتشافات لم تكن متوقعة، وقد سبق أن طالبت بضرورة قيام نقد أدبى إسلامى، يتم على أساسه تقييم الأعمال الأدبية الإسلامية، على أن يكون من ثوابت هذا النقد محاسبة العمل الأدبى فى المقام الأول على مدى التزامه بالتوجه الإسلامى، وعدم تعارضه أو تناقضه مع القيم والمبادئ التى أرساها الإسلام.

وفى أثناء بحثنا عن مثل هذا النوع من النقد عثرنا فى تراثنا العربى والإسلامى، على نص فى غاية الأهمية لابن الجوزى (ت ٥٩٥ هـ)، وذلك فى واحد من أهم كتبه التى نالت شهرة، وحظيت بذيوع كبير فى مجال نقد التصوف، وبيان أخطاء المتصوفة، وكشف ما أحدثوه من البدع التى تتعارض مع صفاء الدين الإسلامى.

والكتاب المشار إليه هو "تلبيس إبليس"، وقد وضع له بعض الناشرين عنواناً فرعياً هو "نقد العلم والعلماء"، لكنه عنوان غير دقيق، وعنوان المؤلف لكتابه أدق فى التعبير عن الموضوع الذى يطرقه. أما معنى كلمة "التلبيس" فيشرحها المؤلف، على النحو التالى: "لما فشت الأهواء، وكثرت البدع، نهض إبليس اللعين يلبس أى يموه الباطل فى صورة الحق، والخطأ فى شكل الصواب، مستغلاً شيوع الجهل، وقلة العلم "، يقول ابن الجوزى: "فرأيت أن أحذر من مكايده، وأدل على مصايده؛ فإن فى تعريف الشر تحذيراً عن الوقوع فيه. ورد فى الصحيحين من حديث حذيفة قال: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركنى".

وقد نهض ابن الجوزى ــ بهذا العمل على خير وجه. فقد بين فى هذا الكتاب أهم المزالق الأخلاقية، والنفسية، والاجتماعية، التى يقع فيها العلماء، والصوفية، والوعاظ، ومن بيدهم مقاليد أمور المسلمين، وهم فى نفس الوقت يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

وقد خص ابن الجوزى طائفة الشعراء بفقرة من فصل، عاب عليهم فيها أنهم يحسبون أنفسهم قد تميزوا عن سائر الناس بميزة، وأن هذه الميزة تشفع لهم ما يرتكبونه من المعاصى، أو ما يقعون فيه من الزلل.

يقول ابن الجوزى: "فتراهم يهيمون فى كل واد من الكذب، والقذف والهجاء، وهتك الأعراض، والإقرار بالفاحش، وأقل أحوالهم أن الشاعر يمدح الإنسان فيخاف أن يهجوه، فيعطيه اتقاء شره، أو يمدحه بين جماعة فيعطيه حياء من الحاضرين. وجميع ذلك من جنس المصادرة (وهى تعنى الابتزاز بلغتنا المعاصرة).

وترى خلقاً من الشعراء، وأهل الأدب، لا يتحاشون من لبس الحرير، والكذب فى المدح خارجاً عن الحد، ويحكون اجتماعهم على الفسق، وشرب الخمر، وغير ذلك، ويقول أحدهم: اجتمعت أنا وجماعة من الأدباء ففعلنا كذا وكذا...هيهات هيهات !! ليس الأدب إلا مع الله عز وجل باستعمال التقوى، ولا قدر للفطن فى أمور الدنيا، ولا تحسن العبارة عند الله إذا لم يتقه.

وجمهور الأدباء والشعراء إذا ضاق بهم رزق تسخطوا فكفروا، وأخذوا فى لوم الأقدار، كقول بعضهم:

لئن سمتْ همتى فى الفضل عاليةً
فإن حظى ببطن الأرض ملتصقُ
كم يفعل الدهر بى مالا أسرُّ بـه
وكم يسىء زمان جائر حنقُ

وقد نسى هؤلاء أن معاصيهم تضيق أرزاقهم، فقد رأوا أنفسهم مستحقين للنعم، مستوجبين للسلامة من البلاء، ولم يتلمحوا مايجب عليهم من امتثال أوامر الشرع، فقد ضلت فطنتهم فى هذه الغفلة".

وهذا النص فى الحقيقة نص نادر، وعلى درجة عالية من القيمة، فى مجال النقد الأدبى الإسلامى المنشود. فهو لم يذهب مذهب الرفض القاطع للشعر أو للأدب كما ذهب إلى ذلك فريق لايعرف أهميتهما فى حياة المجتمع، ولكنه وضع بعض الأسس الهامة التى ينبغى أن تراعى فى نظرة المجتمع، وبصورة أخص فى نظرة النقاد، إلى الأدب الذى يتم إنتاجه، فى العالم الإسلامى، وكذلك إلى الأديب الذى ينتج هذا الأدب.

فهذا الأديب ينبغى أن يتجرد عن التكسب بالأدب، وهذا معناه أن يتوجه بأدبه إلى التقويم، والتوجيه، وإلى الصالح العام، كذلك ينبغى أن ينأى عن أساليب الابتزاز، باستخدام الأدب كعنصر تهديد لفرد أو لجماعة آمنة داخل المجتمع الإسلامى.

ويدين ابن الجوزى تصرفات بعض الأدباء المسلمين. فلا ينبغى ـ تحت مظله الاشتغال بالأدب، وإعجاب الناس بهم ـ أن يرتكبوا المحرمات كلبس الحرير، أو شرب الخمر، فضلاً عن التباهى بارتكاب المعاصى. وابن الجوزى هنا يدرك جيداً، تأثير الأديب كقدوة، فى المجتمع الإسلامى، لذلك فإنه يتطلب منه أن يكون على مستوى المسئولية، وهو يدعو كل أديب إلى أن يراعى حق الله فى كل ما يكتب، فإن العبارة لاتحسن مع الله إذا لم يتقه.

وأخيراً، فإن ابن الجوزى يرفض موضوعاً شاع فى الأدب العربى على ألسنة الشعراء، والكتاب المسلمين، وهو شكوى الزمان وذم الدهر، الذى لم يعطهم مايستحقون من الثروة والنعيم.

إن هؤلاء الحمقى، ينسون أو يتناسون أن للثروة أسبابها، وأن النتائج إنما تأتى من المقدمات، ولا ثمرة إلا بعد إعداد الأرض، وبذرها، وسقيها، ورعايتها على امتداد فترة طويلة، من أجل النماء والنضج.

لقد غابت مع الأسف ملاحظات ابن الجوزى على الشعر والأدب فى غمرة المؤلفات الدينية، التى وضعها هذا العالم الكبير، ولم يتنبّه نقاد الأدب العربى الذين جاءوا بعده إلى قيمة هذا النص النادر فى كتاب "تلبيس إبليس". ونحن إنما ذكرناه هنا، وحاولنا التعليق السريع عليه، لننبه إلى أن فى تراثنا العربى الإسلامى، مقاييس صالحة لإقامة أركان نقد أدبى إسلامى عليها. وكل ما ينبغى علينا هو التنقيب عنها، واستخلاصها، ثم إلقاء الضوء الكاشف عليها، وبذلك يمتد التراث فى المعاصرة، ويتواصل الماضى مع الحاضر.



المدائح النبوية

من بين الموضوعات التى تنتظم فى سلك الأدب الإسلامى: موضوع المدائح النبوية. وهو فى إطار الشعر العربى يكاد يكون فناً قائماً بذاته. وهو فن يتميز بالاستمرارية من ناحية، وبإقبال الناس عليه من ناحية أخرى. أما بالنسبة إلى الاستمرارية، فيكفى أن نتتبعه، بدءاً من دالية الأعشى، التى يقول فيها عن الرسول ﷺ :

نبياً يرى مالاترون، وذكره — أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا

له صدقات ماتغيب، ونائل — وليس عطاءُ اليوم مانِعَه غدا

ومروراً بقصيدة (بانت سعاد) لكعب بن زهير التى يقول فيها:

إن الرسول لنور يستضاء به — وصارم من سيوف الله مسلول

فى عصبة من قريش قال قائلهم — ببطن مكة لما أسلموا زولوا

ويقال إن الرسول ﷺ استمع إليها، وأعجب بها، وخلع على صاحبها بردته التى ظل معتزاً بها، إلى أن اشتراها منه معاوية ابن أبى سفيان بعشرين ألف درهم.

ثم قصائد حسان بن ثابت، الذى أطلق عليه لقب (شاعر الرسول)، والذى قام فى مرحلة استقرار الدولة الإسلامية بدور إعلامى هام فى الرد على دعايات المشركين، وتفنيد مفترياتهم، يقول :

فمن يهجو رسول الله منكم — ويمدحه وينصره سواء

فإن أبى ووالده وعرضى — لعرض محمد منكم وقاء

وهو الذى يقول فى الرسول ﷺ :

وأحسن منك لم ترقط عينى — وأجمل منك لم تلد النساء

وعندما يلحق الرسول الكريم ﷺ بالرفيق الأعلى، تتوالى مراثى حسان باكية، حزينة، ومنها يقول:

وما فقد الماضون مثل محمد — ولامثله حتى القيامة يفقد

ويتمنى اللحاق به للتمتع بجواره:

وليس هوائى نازعاً عــن ثنائه	لعلـــى بــه فى جنة الخلد أخلد
مع المصطفى أرجو بذاك جواره	وفى نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد

وسوف يظل مديح الرسول ﷺ موضوعاً عزيزا يتناوله الشعراء، حتى يصل إلى البوصيرى (ت ٦٩٧ هـ) الذى كتب قصيدته الشهيرة: (البردة)، وهو فيها متأثر بإحدى قصائد ابن الفارض وزناً وقافية، ومطلعها:

أمــن تـــذكر جيران بذى سلم	مزجــت دمعاً جـرى من مقلة بدم
أم هبـت الريح من تلقاء كاظمة	وأومض البرق فى الظلماء من إضم

وفيها يتحدث عن الرسول ﷺ ، فيقول :

أعيا الورى فهمُ معناه، فليس يُرى	للقـرب والبعـد منــه غيـرُ منفحمِ
كالشمس تــظهر للعينين من بعد	صغيــرة، وتـكل الطـرف من أمم
وكيف يــدرك فى الــدنيا حقيقته	قــوم نيــام تسلـوا عنـــه بالحلم
فمبلــغ العلـــم فيـــه أنـــه بشـر	وأنـــه خيـر خلـــق اللــه كلــهم
أكـــرم بخلـــق نبـــىٍّ زانـــه خُلقُ	بالحســـن مشتمــل بـالبشر متسم
كالزهر فى ترف، والبدر فى شرف	والبحر فى كرم، والدهر فى همــم

وقد كان للحكايات الصوفية، التى نشأت حول هـذه القصيدة، أثر كبير فى محاولة الشعراء اللاحقين محاكاتها، والنسْجَ على منوالها.

ومن أبرز الشعراء القدامى الذين حاكوا بردة البُوصيرى: ابن نباتة المصرى (ت ٨٣٧ هـ.) فى قصيدته التى يقول فيها:

لى فى ابتدا مدحكم ياعُربَ ذى يلَم	بـــراعة تستهلّ الــدمع فى العلم
بالله سربى، فسربى طلقوا وطنـى	وركبوا فى ضلوعى مُطلق السقم

ثم ينتقل من النسيب إلى المديح، فيقول:

ومَنْ غدا قسمه التشبيب فى غزل	حسنُ التخلص بالمختار من قسَمى
محمــــد، ابــن النجيبين، الأميــن	أبو البتول، خير نبى فى اطرادهم
عيــن الكمال كمال العين رؤيتــه	ياعكس طرف من الكفار عنه عمى

أما فى العصر الحديث، فقد بدأ البارودى محاولة النهوض بالشعر العربى عن طريق محاكاة نماذجه القوية وكتب: يمدح الرسول (ﷺ):

يا صارم اللحظ من أغراك بالمهج حتى فتكت بها ظلماً بلا حرج

***

هو النبى الذى لولا هدايته لكان أعلم من فى الأرض كالهمج
أنا الذى بت من وجدى بروضته أحن شوقا كطير البانة الهزج
هاجت بذكراه نفسى فاكتست ولها وأى صب بذكر الشوق لم يهج

لكن أحمد شوقى جاء بعد ذلك، فكتب "نهج البردة" مشيراً إلى المحاكاة المباشرة، ومعترفاً فى العنوان نفسه، بفضل البوصيرى فى ارتياد هذا الطريق.

والواقع أن قصيدة شوقى قد بلغت مستوى فنياً عالياً، وجمعت فى نفس الوقت بين الالتزام بالتوجه الإسلامى، والجودة الأدبية، وهما معاً يؤهلانها لكى تصبح أحد النماذج المتميزة للأدب الإسلامى المنشود.

يقول أحمد شوقى فى مطلع نهج البردة:

ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم
رمى القضاء بعينى جؤذر أسداً ياساكن القاع أدركْ ساكن الأجمِ
لما رنا حدثتنى النفس قائلةً ياويح جنبك بالسهم المصيب رمى
جحدتها، وكتمتُ السهم فى كبدى جرح الأحبة عندى غير ذى ألم

ثم ينتقل بعد أبيات كثيرة فى النسيب، الذى تتخلله ألوان من الحكمة، التى كان شوقى يحرص على إيرادها فى شعره، من مثل قوله:

رزقت أسمح مافى الناس من خلق إذا رزقت التماس العذر فى الشيم

وقوله:

يانفس، دنياك تخفى كل مبكية وإن بدا لك منها حسن مبتسم

وقوله: الموت بالزهر مثل الموت بالفحَمَ

ثم يخلص إلى مديح الرسول ﷺ فيقول:

محمــد صفــوة البــارى ورحمتــه وبغيــة المــلك من خَلْق ومن نَسم
وصاحب الحوض يوم الرسل سائله متى الورود؟ وجبريل الأمين ظمى!
ونــودى اقــرأ، تــعالى الله قائلها لــم تتصــل قبــل من قيلت له بفمِ
هنـــاك أذن للــرحمن فـامتــلأت أسمـــاع مكـــة مــن قـدسيةِ النغمِ

ثم يقول عن معجزة الإسلام الخالدة:

جــاء النبيون بــالآيات فانصرمت وجئتنـــا بحكيــم غيــر منصــرمِ
آيـــاتـــه كــلما طــال المــدى جدد يــزينـــهن جــلالُ العتــق والقدم
يــكاد فــى لفظــة منـــه مشرفة يــوصيك بالحــق والتقوى وبالرحم

وهكذا نجد أن قصائد المديح النبوى تضم ألواناً من تمجيد القرآن الكريم، ومن التركيز على بعض القضايا الإسلامية، ومــن الـرد علـى بعـض المفتريـات .. مثل قول شوقى يرد على دعوى انتشار الإسلام بالسيف:

قــالوا: غزوت، ورسل الله مابعثوا لقتــل نــفس، ولاجــاءوا لسفك دمِ
جهــل، وتضليل أحــلام، وسفسطة فتحــت بالسيــف بعد الفتح بالقلم
لما أتــى لــك عفـواً كــل ذى حَسَب تكــفل السيــف بــالجهــال والعمم
والشـــر إنْ تلقه بــالخير ضقت به ذرعـــاً، وإن تلقـــه بــالشر ينحسم

وقد كان لأحمد شوقى ـ سوى نهج البردة ـ قصيدتـانِ أخريـان، لا تقـلان عنها روعة، وبلاغة ..

أما الأولى فهى (ذكرى المولد) التى مطلعها:

سلـــوا قلبـــى غــداة ســلا وتابا لعـــل علــــى الجمـــال لـــه عتابـا
ويســأل فــى الحوادث ذو صواب فـــهل تـــرك الجمـــال لـــه صوابا

أما القصيدة الثانية فهى (الهمزية النبوية) التى يقول فى مطلعها:

ولـــد الهـــدى فــالكائنات ضيــاءُ وفــم الــزمـــان تبســـم وثنـــاءُ
الـــروح والمـــلأ المــلائك حوله للـــدين والـــدنيـــا بـــه بشـــراء
والعرش يزهو، والحظيرة تزدهى والمنتهــى، والســدرة العصمـــاء
وحديقـــة الفرقــان ضاحكــة الربا بـــالترجمـــان شذيـــة غنـــــاءُ

والوحـــى يقطـر سلسلاً من سلسل   واللـــوح والقلـــــم البديـــع رواء

نظمت أسامى الرسل فهـى صحيفة   فـــى اللـــوح، واسم محمد طغراءُ

اســم الجـــلالة فـــى بديع حروفه   ألــف هنـــالك، واســـم (طه) الباء

وهكذا نرى أن فن المدائح النبوية يمثل موضوعاً رئيسيا من موضوعات الأدب الإسلامى، وهو فن قابل للإضافة إليه، والتجويد فيه، والكتابة عنه، فى كل عصر، بروح صادقة، وأساليب جديدة.



ذكـــرى المولـــد النبـــوى

سبق أن تحدثنا عن المدائح النبوية كفن اتخذ لنفسه مجرى خاصاً فى تاريخ الأدب العربى. ونود أن نشير هنا إلى أن شعراء المدائح النبوية، كانوا يكتبون قصائدهم دون التقيد بمجيء ذكرى موسمية معينة .. ولكن مع مرور الوقت، أخذت بعض البلاد الإسلامية تحتفل فى كل عام بذكرى مولد الرسول ﷺ، ويتخذ هذا الاحتفال بعض المظاهر الاجتماعية، تبعاً لعادات، وتقاليد المجتمعات الإسلامية المختلفة، كما يتخذ أيضاً مظهراً ثقافياً، تلقى فيه القصائد والخطب والكلمات، التى تشيد بأخلاق الرسول ﷺ، وتتحدث عن عظمة الإسلام، كما تنبه المجتمعات الإسلامية إلى ضرورة التمسك بالأصول الإسلامية، واتخاذ الرسول ﷺ كقدوة دائمة، مع التزود المستمر من أقواله، وأفعاله.

وفى مثل هذه الاحتفالات الثقافية، كان الشعراء يجدون الفرصة المواتية، لإظهار مواهبهم الأدبية، عن طريق إلقاء القصائد التى تعبر عن أحاسيسهم، وتصور مشاعرهم، متغنية فى نفس الوقت بخلال صاحب الذكرى العطرة.

هنا كان على الشاعر أن يستعد للمناسبة السنوية، بكتابة قصيدة، تكون ملائمة للزمان، والمكان اللذين يتم فيهما الاحتفال. وبعض الاحتفالات كانت تقام فى القرى، والبعض الآخر فى المدن. بعضها كان محدوداً، والبعض الآخر ـ عن طريق وسائل الإعلام الحديثة ـ صار على نطاق واسع جداً.

وهكذا راح يتكون فن آخر، فى إطار المدائح النبوية، وهو الفن الخاص بذكرى المولد النبوى الشريف.

ونحن هنا لانتعرض لاستحداث الاحتفال بالمولد النبوى، فمن المؤكد أنه غير موجود، ولا موصى به فى الصدر الأول للإسلام .. ولكنه هكذا تكون فى داخل المجتمعات الإسلامية، وأصبح معترفاً به من عدد كبير من الحكومات. والدليل على ذلك أن بعض الدول الإسلامية تتخذه أجازة رسمية، وفيه يتبادل الرؤساء العرب والمسلمون التهانى والتبريكات.

إن مثل هذا الفن الذى نشأ وتطور، وتكونت فيه ـ حتى الآن ـــ مادة كبيرة جداً، أصبح يدخل بالضرورة فيما يطلق عليه "الأدب الإسلامى". ولاينبغى أن

نخشى من ذلك أبداً. فما دامت معايير "النقد الأدبى الإسلامى"، التى تصاحب وتتابع الأدب الإسلامى نفسه ـ قائمة، ومحترمة، فسوف يتم فحص هذا الحشد الهائل من قصائد الذكرى النبوية، بل وتجرى المقارنة بين نماذجها المختلفة، لبيان قيمة كل منها، تمهيداً لتصنيفها، ووضعها فى مكانها الصحيح من تاريخ الأدب الإسلامى.

ونماذج هذا الفن قصيدة أحمد شوقى الشهيرة بمطلعها الذى يقول فيه.

سلوا قلبى غداة سلا وتابا ... لعل على الجمال له عتابا

وفيها يقول:

تجلى مولد الهادى، وعمت ... بشائره البوادى والقصابا
وأسدت للبرية بنتُ وهب ... يداً بيضاء طوقت الرقابا
لقد وضعتْه وهاجاً منيراً ... كما تلد السماوات الشهابا
فقام على سماء البيت نوراً ... يضىء جبال مكة والنقابا
وضاعت يثربُ الفيحاءُ مسكاً ... وفاح القاع أرجاء، وطابا

ثم يخاطب الرسول ﷺ قائلاً:

أبا الزهراء قد جاوزت قدرى ... بمدحك بيد أن لى انتسابا
فما عرف البلاغة ذو بيان ... إذا لم يتخذك له كتابا
مدحت المالكين فزدت قدراً ... وحين مدحتك اقتدت السحابا

وقد كانت مناسبة الاحتفال الثقافى بالمولد النبوى، فى بعض الأقطار العربية والإسلامية، فرصة لتجويد هذا الفن. ومن ذلك قصيدة ألقاها الشاعر محمود الماحى، الذى اختطفه الموت شاباً، يقول فيها:

الليل أرقه بطول عذابه ... صب صفاء الحب ملء إهابه
الدمع والتنهيد من أترابه ... والوهم والتسهيد من أصحابه
يفنى كما تفنى الشموع شبابه ... ويذوب حين يذوب فى أعصابه
أحبابه غابوا، وطال غيابهم ... هل من حديث طاب عن أحبابه
بعث الكتاب لهم لحون محبة ... أتراهم قرأوا سطور كتابه

ثم يخلص بعد ذلك للحديث عن مناسبة الذكرى النبوية، فيقول:

حتى إذا هلت عليه بشائر الذكرى ... وردت فيه بعض صوابه
وازينت للمولد الأبدى دنياه ... ودنيا القلب من أنسابه
غلب الهوى بأس النوى وتبسمت ... شفتاه لكن ذاب فى غلابه

ثم يتحدث عن استجابته للمشاركة فى الاحتفال فيقول:

ولقد دعيت للاحتفال بليلة ... نسى الزمان بها رتيب حسابه
فمحوت ظنى باليقين، لعلنى ... ألقى وجودى، بعد طول غيابه
ووقفت فى شبابتى متردداً ... والقلب بين بقائه وذهابه
ماذا أقول وموكب الذكرى سرى ... بين الوجود يضىء ظلم شعابه
بزغت كشمس، لا غروب لها، وهل ... يخبو الضياء، وأنت نور شهابه
ماذا أقول، وأين وحى الخلد ... جبريل الأمين، وأين سر إيابه
رفت بنات الشعر قبلُ، وقدمت ... أين العذارى؟ أين من آدابه!

ثم يقول بعد شكوى من الزمان، الذى راح يعجب بالمذاهب الوضعية، تاركاً وراء ظهره نور الهداية الإلهية:

يا فجر ميلاد النبى ابعث لنا ... خيطاً يضىء لنا طريق ثوابه
وصف الحياة مع النبى أبللت ... بمدامع الأكوان من غيابه
صف لى زحام المسلمين ببابه ... وملائك الرحمات حول قبابه
أرأيت بحر الحب فى غزواته ... والناس كالأمواج فوق عبابه
وسمو حكمته، ومنطقه الذى ... أضحت شعوب الأرض قيد رحابه
ورضاه يوم الفتح عدلاً قاضياً ... جبريل روح الله من حجابه
أو لم يكن للكون رائده الذى ... يسقى بماء الحب قفر يبابه
أو لم يكن ظل الهجير لروحه ... ومرد فتواه، وفصل خطابه

وهكذا تصبح الذكرى مناسبة لاستعراض مآثر الرسول ﷺ، وما قدمه للإنسانية كلها من خير، وما قادها إليه من هداية.

وغالباً مانجد فى قصائد المديح النبوى، أو قصائد الذكرى النبوية، نبرة حزينة أسيانة على أحوال المسلمين فى العصر الحاضر، وأسفاً وتحسراً على ما حدث لهم من تفرق بعد وحدة، وضعف بعد قوة، ومهانة بعد استعلاء.

لقد وجد الشعراء المسلمون، فى كل من مدح الرسول ﷺ ، وتعاقب ذكرى مولده الكريم، فرصة سنوية مناسبة يجددون فيه التعبير عن آلامهم لما صارت إليه الأحوال، كما يجددون فيها آمالهم فى مستقبل أفضل للأمة الإسلامية.

وهكذا نرى أن أمثال تلك المناسبات يمكن أن تكون موضوعاً ثرياً، من موضوعات الأدب الإسلامي. وكما سبق القول، فإن لدينا دائماً المعيار الذى لايخطيء، وهو الحكم على مضمون هذه القصائد بالتوجه الإسلامى، من عدمه: ما وافق التوجه الإسلامى الصحيح قبلناه ومالم يوافقه أهملناه .. وما وصل إلى مستوى التجويد الفنى رحبنا به وشجعناه، وماقصّر عن ذلك مررنا عليه سريعاً، وعذرناه.



الأدب المقارن الإسلامى

يعتبر الأدب المقارن من أحدث مجالات الدراسة الأدبية التى ظهرت فى القرن العشرين، وهو يهدف إلى دراسة العلاقات بين أدبين أو أكثر، لأمتين أوأكثر، وبيان مدى ما تم من تأثير وتأثر بينهما، والكشف عن مواطن الجمال فى كل منهما. وهذا النوع من الدراسة يحتاج بالضرورة إلى إلمام الدارس بأكثر من لغة أجنبية، واطلاعه الواسع على أكبر عدد من النماذج الأدبية العالمية. وقد قيل إن من مزايا الأدب المقارن، أنه يعمل على تقريب الهوة بين الشعوب المختلفة، وعقد أواصر الصلح بينها عن طريق تتبع طرق التفاعل المستمر، والتبادل المتجدد.

ومن بديهيات الأدب المقارن أنه يصنف الآداب بحسب اللغة التى تكتب فيها. فهناك الأدب العربى، وهو كل ما كتب فى العربية، على أى أرض، ومهما كانت جنسية كاتبه السياسية. والشىء نفسه، يمكن أن يقال عن الأدب الفرنسى، أوالألمانى، أو الروسى، أو الإنجليزى، أو الفارسى، أو التركى ..

ولا تجرى المقارنة ـ بمفهومها العلمى ـ إلا بين أدبين ينتمى كل واحد منهما إلى لغة أخرى مختلفة. ومن هنا، فلا تصح المقارنة بين أديبين عربيين؛ لأنهما من أبناء لغة واحدة. وإذا تمت المقارنة فى هذه الحالة، فإنها تصبح "موازنة"، وهذا هو المصطلح النقدى القديم الذى أطلق عليها. فقد كتب الآمدى كتاباً بعنوان "الموازنة بين الطائيين: البحترى وأبى تمام".

ويرى دارسو الأدب أن مثل هذه الموازنة هامة، ولكنها محدودة القيمة، فهى لاتعدو أن تبين تأثر اللاحق بالسابق، أو تفوقه عليه، وغايتها جمالية تعليمية. أما الأدب المقارن، الذى تجرى فيه المقارنة بين أديبين ينتميان إلى أدبين مختلفين، فإنه يهدف إلى تأكيد الصلة بين الآداب المختلفة، وترتفع المقارنة هنا إلى مستوى عالمى، وتنزع إلى استخلاص مقاييس عامة، وليست ذات طابع محلى محدود.

إن دراسة الآداب المختلفة فى علاقاتها بعضها ببعض، تؤدى إلى نتائج: منها انتقال أجناس أدبية كاملة من أدب إلى آخر، كما حدث فى العصر الحديث، حين انتقلت المسرحية إلى الأدب العربى، فأثرته شكلاً ومضموناً. وكما انتقلت

القصة القصيرة والرواية، بمفهومها الحديث، إلى الأدب العربى، فوسعت من مجالات تعبيره وتصويره.

وقد بدأت دراسة الأدب المقارن فى العالم العربى، بفضل باحث جاد، هو المرحوم الدكتور "محمد غنيمى هلال" الذى كتب مؤلفاً قيماً عن الأدب المقارن: نشأته، واتجاهاته، وأهم مدارسه، ونماذج منه، كما نشر بعد ذلك كتاباً تطبيقياً، تناول فيه أثر الأدب العربى فى الأدب الفارسى، فى موضوع الحب العذرى الذى اشتهر فى قصة (ليلى والمجنون).

ومما لاشك فيه أن هذه الدراسات قد فتحت الباب واسعاً أمام الدارسين، العرب والمسلمين، لاقتحام هذا المجال، وإثبات شخصيتهم فيه.

والذى يهمنا فى هذا المجال هو بدء الدعوة إلى ضرورة الاتجاه إلى دراسة آداب الشعوب الإسلامية المختلفة فى اللغة، والتى توجد بينها علاقات متعددة، أهمها على الإطلاق رابطة العقيدة الإسلامية. وذلك بعد أن كثر الحديث عن دراسة العلاقة بين أوربا وبعض البلاد العربية، التى تأثرت بها فى المجال الأدبى. فكثيراً مانرى موضوعاً مثل تأثر "أحمد شوقى" بشكسبير فى موضوع "كليوباترا" يحتل فى الدراسات المقارنة مكاناً أثيراً لدى الباحثين، ومثل أثر "ت، أس، أليوت" فى "بدر شاكر السياب"، أو أثر "تشيكوف فى "محمود تيمور"

وقد أجريت فى المقابل بحوث متعمقة حول تأثير الأدب العربى، والإسلامى بعامة فى بعض الآداب الأوربية. ومن أشهر الأمثلة على ذلك تأثير أبى العلاء المعرى فى "دانتى" الإيطالى، وتأثير الشعراء الأندلسيين فى شعر التروبادور، الذى ظهر فى أوربا خلال العصور الوسطى.

ولكننا هنا نغير الدفة تماماً، وندعو إلى دراسات مقارنة جديدة بين الآداب الإسلامية ذات اللغات المختلفة، مثل العربية، والفارسية، والتركية، والأوردية، والبربرية، والسواحلية.

إن المتحدثين بهذه اللغات شعوب إسلامية، ولكنها مختلفة فيما بينها فى ثقافاتها المحلية، وفى آدابها الخاصة بها، واحتمال تبادل الأفكار والأساليب وارد بينها، بل إنه ضرورى بحكم الاتصال المستمر، والاتحاد فى العقيدة.

وسوف أضرب هنا مثالاً بسيطاً على ذلك. فموضوع الحكايات الفكاهية المرتبطة بشخصية (جحا) تتوزع بين تركيا، وبلاد فارس، والبلاد العربية، بل إنه ينتقل بنوادره إلى الساحل الشرقى من البحر الأبيض المتوسط، فيشيع فى صقلية، وإيطاليا.

وهكذا بدلاً من أن تتشتت جهود دارسى الأدب المقارن المحدثين فى دراسة موضوعات أدبية غربية (يظهر فيها السيادة غالباً للجانب الأوربى، والاستعارة غالباً من الجانب العربى)، يتم بحث الصلات المتوافرة بالفعل بين الآداب الإسلامية.

وهذا مما يسهم فى مزيد من تقارب هذه الشعوب: لأن البحث العلمى المشترك، الذى تدفع إليه دراسة الأدب المقارن، سوف يزيد، بالتأكيد من حسن الصلات، وتأكيد الأواصر.

وبهذا العمل، سوف ينشأ لدينا فرع جديد تماماً، يمكن أن نطلق عليه "الأدب المقارن الإسلامى"، وهو يستحق هذا اللقب بكل جدارة. فالموضوعات المشتركة أوالمتشابهة موجودة، والصلات بين الآداب الإسلامية قائمة، وبحث قنوات التأثير والتأثر، لاتنتهى إلى الحط من شأن الآخذ، ولاتدفع المعطى إلى الاستعلاء. ثم إن الباحثين القادرين على القيام بهذا العمل غير غائبين، وينبغى فقط أن يحصلوا على بعض التشجيع، والمكافأة [١] .

إن المسيرة الطويلة، تبدأ دائماً بخطوات بطيئة، ولكنها واثقة من هدفها، وواثقة من الطريق الذى تسلكه. وقد انطلقت مسيرة الأدب الإسلامى، وما أحسبها تتوقف، لذلك فإنها تحتاج إلى الأمل الذى يحدوها لبلوغ الهدف، والعزيمة التى تيسر لها عقبات الطريق.



(١) للأستاذ الدكتور الطاهر مكى كتاب ضخم بعنوان "الأدب المقارن الإسلامى".

القسم الثانى

النماذج

(أ) من الشعر

(ب) من النثر



تقديـــم النمـــاذج

حاولت ان أضع بين يدى القراء فى هذا الجزء من الكتاب مجموعـة مـن نمـاذج الأدب الإسلامى شعراً ونـثراً. والمـدار هنـا يرجـع بـالطبع إلـى الـذوق الخـاص، لكننى راعيت مع ذلـك عدة عوامـل، منهـا: التوجـه الإسـلامى، والجـودة الفنيـة، والتمثيل النوعـى لجنـس أدبـى أو لفـرع منـه يكـون قـابلاً للصـوغ علـى أساسـه، ومحاكاة البارع منه.

ومن النظرة السريعة إلـى مجموعـة النمـاذج، يتبين أنهـا لـم تقـم علـى أسـاس الزمان أو المكان، وإنما جاءت نتيجة رسوخها فى الذاكرة زمنا طويـلاً، وإلحاحها على الذهن باستمرار.

لذلك تظل عملية اختيار النماذج مطروحة على الباحثين فى الأدب الإسلامى، والحريصين على انتشاره، يقوم كل منهم بدوره فيهـا، متجـاوزا اللاحـق مـا وصـل إليه السابق، وهكذا يمكن أن تتوالى المختارات، مكونة بنـاء متراكمـا ومتناميـا فـى نفس الوقت، بحيث يكون مرجعاً أساسيا لكل من الدارسين والمبدعين.

(أ) من الشعـر

متى تخل بالسلطان

الطغرائى

(ت ٥١٣ هـ)

إذا كنت للسلطان خدنا فلا تشر ... عليه بأن يؤذى مدى الدهر مسلما

فقد جاء فى أمثالهم أن ثعلبا ... وذئباً، أصابا عند ليث تقدما

أضر به جوع شديد فشفّه ... وأبقى له جلدا رقيقا وأعظما

ففاز لديه الذئب يوما بخلوة ... فقال كفاك الثعلب اليوم مطعما

فكله وأطعمه فما هو شكلنا ... ولست أرى فى أكله لك مأثما

فلما أحس الثعلبان بكيده ... تطبب عند الليث واحتال مقدما

وقال أرى بالملك داء مماطلا ... تهدم منه جسمه وتحطما

وفى كبد الذئب الشفاء لدائه ... فإن نال منها ينج منه مسلما

فصادف منه ذا قبولاً فعنده ... أحال على الذئب الخبيث فصمما

فأفلت مسلوخ الإهاب مرملا ... فلما رآه الثعلبان تبسما

وصاح به: يالابس الثوب قانيا ... متى تخل بالسلطان فاسكت لتسلما



قلبى يحدثنى ..

ابن الفارض
(ت ٦٣٢ هـ)

قلبـــى يحدثنـــى بـــأنك متلفـــى ... روحى فداك عرفت أم لـم تعـرف
لـم أقض حق هـواك إن كنت الـذى ... لـم أقض فيـه أسى ومثلـى من يفى
مـالى سـوى روحـى وبـاذل نفسـه ... فـى حب من يهـواه ليـس بمسـرف
فلئـن رضيـت بهـا فقـد أسـعفتنى ... يـا خيبـة المسـعى إذا لـم تسـعف
يـا مـانعى طيـب المنـام ومـانحى ... ثـوب السقام بـه ووجـدى المتلـف
عطفاً علـى رمقـى ومـا أبقيـت لـى ... من جسمى المضنـى وقلبى المدنـف
فـالوجد بـاق والوصـال مماطلى ... والصـبر فـان واللقـاء مسـوفى
لـم أخل من حسد عليك فلا تضـع ... سـهرى بتشـنيع الخيـال المرجـف
واسـأل نجوم الليل هل زار الكرى ... جفنـى وكيف يـزور مـن لـم يعـرف
لاغرو إن شـحت بغمـض جفونهـا ... عينـى وسـحت بـالدموع الـذرف
وبمـا جرى فـى موقف التوديع من ... ألـم النـوى شـاهدت هـول الموقـف
إن لـم يكـن وصـل لديـك فعـد بـه ... أملـى ومـاطل إن وعـدت ولاتفـى
فـالمطل منـك لـدى إن عـز الوفـا ... يحلـو كوصـل مـن حبيـب مسـعف
أهفـــو لأنفـــاس النســـيم تعلـــة ... ولوجـه مـن نقلـت شـذاه تشـوفى
فلعـل نـار جوانحـى بهبـوبهـــا ... أن تنطفـــى وأود أن لا تنطفـــى

۞۞۞

يـا أهـل ودى أنتـم أملـى ومـن ... نـاداكم يـا أهـل ودى قـد كفـى
عـودوا لمـا كنتـم عليـه مـن الوفـا ... كرمـاً فـإنى ذلـك الخـل الوفـى
وحيـاتكم وحيـاتكم قسـماً وفـى ... عمـرى بغير حيـاتكم لـم أحلـف
لـو أن روحـى فـى يـدى ووهبتهـا ... لمبشـرى بقدومكـم لـم أنصـف
لا تحسـبونى فـى الهـوى متصنعـا ... كلفـى بكـم خلـق بغيـر تكلـف

أخفيــت حبكــم فأخفــانى أســـى حتــى لعمــرى كـدت عنــى أختفــى
وكتمتـــه عنـــى فلـــو أبـــديتـــه لـوجدتـه أخفـى مـن اللطـف الخفــى

۞۞۞

ولقـد أقـول لمـن تحـرش بـالهوى عرضـت نفسـك للبـلا فاسـتهدف
أنـت القتيـل بـأى مـن أحببتـه فاختر لنفسك فى الهوى من تصطفى
قـل للعـذول أطلـت لومـى طامعـاً ان المـلام عـن الهـوى مسـتوقفى
دع عنـك تعنيفـى وذق طعـم الهـوى فـإذا عشـقت فبعـد ذلـك عنـف
برح الخفاء بحب من لـو فـى الدجى سـفر اللثـام لقلـت يـابدر اختـف
وإن اكتفـى غـيرى بطيـف خيالـه فأنـا الـذى بوصالـه لا أكتفـى
وقفـاً عليـه محبتـى ولمحنتـى بـأقل مـن تلفـى بـه لا أشـتفى
وهـواه وهـو أليتـى وكفـى بـه قسـماً أكـاد أجلـه كـالمصحف
لو قال تيهـاً قف على جمـر الغضـا لوقفـت ممتثـلاً ولـم أتوقـف
أو كـان مـن يرضـى بخدى موطئاً لـوضعته أرضـاً ولـم أستنكـف

۞۞۞

لا تنكروا شـغفى بمـا يرضـى وإن هـو بالوصـال علـى لـم يتعطـف
غلب الهـوى فـأطعت أمـر صبـابتى مـن حيث فيـه عصيت نهى معنفى
منـى لـه ذل الخضـوع ومنـه لـى عـز المنـوع وقـوة المسـتضعف
ألـف الصـدود ولـى فـؤاد لـم يـزل مذكنـت غـير وداده لـم يـألف
يامـا أميلـح كـل مـا يرضـى بـه ورضابـه يامـا أحيـلاه بفـى
لـو أسـمعوا يعقـوب ذكـر ملاحـة فـى وجهـه نسـى الجمـال اليوسـفى
أو لـو رآه عـائداً أيـوب فـى سنة الكرى قدمـاً مـن البلـوى شـفى
كـل البـدور إذا تجلـى مقبـلاً تصبـو إليـه وكـل قـد أهيـف
إن قلـت عنـدى فيـك كل صبابـة قـال الملاحـة لـى وكل الحسن فى

۞۞۞

كملـت محاسـنه فلـو أهـدى السـنا   للبـدر عنـد تمامـه لـم يخسـف
وعلـى تفنـن واصفيـه بحسـنه   يفنـى الزمـان وفيـه مـالم يوصـف
ولقـد صرفـت احلـه كلـى علـى   يدحسـنه فحمـدت حسـن تصرفـى
فالعين تهوى صورة الحسن التى   روحـى بهـا تصبـو إلـى معنـى خفـى
اسـعد أخـى وغننـى بحديثـه   وانـثر علـى سـمعى حـلاه وشـنف
لأرى بعيـن السـمع شـاهد حسـنه   مغنـى فـأتحفنى بـذاك وشـرف
يـا أخـت سـعد مـن حبيبـى جئتنـى   برسـالة أديتهـا بتلطـف
فسـمعت مـالم تسـمعى ونظـرت مـا   لـم تنظـرى وعرفـت مـالم تعرفـى
إن زار يومـاً يـا حشـاى تقطعـى   كلفـاً بـه أو سـار يـاعين اذرفـى
مـاللنوى ذنـب ومـن أهـوى معـى   إن غـاب عـن إنسـان عينـى فهـو فـى



قصيدة البردة

البوصيرى

(ت ٦٤٣ هـ)

أمن تذكر جيران بذى سلم ... مزجت دمعًا جرى من مقلة بدم

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة ... وأومض البرق فى الظلماء من إضم

فما لعينيك إن قلت اكففا همتا ... وما لقلبك إن قلت استفق يهم

أيحسب الصب أن الحب منكتم ... مابين منسجم منه ومضطرم

لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل ... ولا أرقت لذكر البان والعلم

فكيف تنكر حبا بعد ما شهدت ... به عليك عدول الدمع والسقم

وأثبت الوجد خطى عبرة وضنى ... مثل البهار على خديك والعنم

نعم سرى طيف من أهوى فأرقنى ... والحب يعترض اللذات بالألم

۞۞۞

يالائمى فى الهوى العذرى معذرة ... منى إليك ولو أنصفت لم تلم

عدتك حالى لاسرى بمستتر ... عن الوشاة ولا دائى بمنحسم

محضتنى النصح لكن لست أسمعه ... إن المحب عن العذال فى صمم

إنى اتهمت نصيح الشيب فى عذل ... والشيب أبعد فى نصح عن التهم

فإن أمّاراتى بالسوء ما اتعظت ... من جهلها بنذير الشيب والهرم

ولا أعدت من الفعل الجميل قرى ... ضيف ألم برأسى غير محتشم

لو كنت أعلم أنى ما أوقره ... كتمت سراً بدا لى منه بالكتم

من لى برد جماح من غوايتها ... كما يرد جماح الخيل باللجم

فلا ترم بالمعاصى كسر شهوتها ... إن الطعام يقوى شهوة النهم

والنفس كالطفل إن تهمله شب على ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

فاصرف هواها وحاذر أن توليه ... إن الهوى ما تولى يصم أو يصم

وراعها وهى فى الأعمال سائمة ... وإن هى استحلت المرعى فلا تسم

كم حسنت لذة للمرء قاتلة ... من حيث لم يدر أن السم فى الدسم

واخش الدسائس من جوع ومن شبع | فـرب مخمصــة شــر مــن التخــم
واستفرغ الدمع من عين قد امتلات | مـن المحــارم والـزم حمية النــدم
وخالف النفس والشيطان واعصهما | وإن هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصماً ولا حكماً | فأنت تعرف كيد الخصم والحكم
أستغفر اللـه مـن قـول بـلا عمـل | لقد نسبت به نسلاً لذى عقم
أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به | ومـا استقمت فما قولى لك استقم
ولاتزودت قبل الموت نافلة | ولم أصل سوى فرض ولم أصم

۞۞۞

ظلمت سنة من أحيا الظلام إلى | أن اشتكت قدماه الضر من ورم
وشد من سغب أحشاءه وطوى | تحت الحجارة كشحاً مترف الأدم
وراودته الجبال الشم من ذهب | عن نفسه فأراها أيما شمم
وأكدت زهده فيها ضرورته | إن الضرورة لا تعدو على العصم
وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من | لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

۞۞۞

محمد سيد الكونين والثقلين | والفريقين من عرب ومن عجم
نبينا الآمر الناهى فلا أحد | أبر فى قول لا منه ولا نعم
هو الحبيب الذى ترجى شفاعته | لكل هول من الأهوال مقتحم
دعا إلى الله فالمستمسكون به | مستمسكون بحبل غير منفصم
فاق النبيين فى خلق وفى خلق | ولم يدانوه فى علم ولا كرم
وكلهم من رسول الله ملتمس | غرفا من البحر أو رشفاً من الديم
وواقفون لديه عند حدهم | من نقطة العلم أو من شكلة الحكم
فهو الذى تم معناه وصورته | ثم اصطفاه حبيباً بارئ النسم
منزه عن شريك فى محاسنه | فجوهر الحسن فيه غير منقسم
دع ما ادعته النصارى فى نبيهم | واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

وانسب إلى ذاته ما شئت مـن شرف وانسب إلى قـدره ماشئت مـن عظـم

فـإن فضـل رسـول اللـه ليس لـه حـد فيعـرف عنـه نـاطق بفـم

لـو ناسـبت قـدره آياتـه عظمـاً أحيا اسمه حيـن يدعـى دارس الرمـم

لـم يمتحنـا بمـا تعيـا العقـول بـه حرصـاً علينـا فلـم نرتـب ولـم نهـم

أعيـا الـورى فهم معنـاه فليس يـرى فـى القـرب والبعـد فيه غـير منفحـم

كالشـمس تظهـر للعينيـن مـن بعـد صغـيرة وتكـل الطـرف مـن أمـم

وكيـف يـدرك فـى الدنيـا حقيقتـه قـوم نيـام تسـلوا عنـه بـالحلم

فمبلـغ العلـم فيـه أنـه بشـر وأنـه خـير خلـق اللـه كلهـم

وكـل آى أتـى الرسـل الكـرام بهـا فإنمـا اتصلـت مـن نـوره بهـم

فإنـه شـمس فضـل هـم كواكبهـا يظهـرن أنوارهـا للنـاس فـى الظلـم

أكـرم بخلـق نبـى زانـه خلـق بالحسـن مشـتمل بالبشـر متسـم

كالزهر فى ترف والبـدر فـى شرف والبحـر فـى كرم والدهر فـى همـم

كأنـه وهـو فـرد مـن جلالتـه فـى عسكر حين تلقـاه وفـى حشـم

كأنمـا اللؤلـؤ المكنـون فـى صـدف مـن معدنـى منطـق منـه ومبتسـم

لاطيـب يعـدل تربـاً ضـم أعظمه طوبـى لمنتشـق منـه وملتثـم

❁❁❁

أبـان مولـده عـن طيـب عنصـره يـا طيـب مبتـدأ منـه ومختتـم

يـوم تفـرس فيـه الفـرس أنهـم قـد أنـذروا بحلـول البـؤس والنقـم

وبـات إيـوان كسـرى وهـو منصـدع كشـمل أصحـاب كسـرى غير ملتئـم

والنـار خـامدة الأنفـاس مـن أسـف عليه والنهـر سـاهى العيـن مـن سدم

وسـاء سـاوة أن غـاضت بحيرتهـا ورد واردهـا بـالغيظ حيـن ظمـى

كـأن بالنـار مـا بالمـاء مـن بلـل حزنـاً وبالمـاء مـا بالنـار مـن ضـرم

والجـن تهتـف والأنـوار سـاطعة والحـق يظهـر مـن معنـى ومـن كلـم

عمـوا وصمـوا فـإعلان البشـائر لـم تسـمع وبارقـة الإنـذار لـم تشـم

من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم بأن دينهم المعوج لم يقم
وبعد ما عاينوا فى الأفق من شهب منقضة وفق مافى الأرض من صنم
حتى غدا عن طريق الوحى منهزم من الشياطين يقفو إثر منهزم
كأنهم هرباً أبطال أبرهة أو عسكر بالحصى من راحتيه رمى
نبذاً به بعد تسبيح ببطنهما نبذ المسبح من أحشاء ملتقم
جاءت لدعوته الأشجار ساجدة تمشى إليه على ساق بلا قدم
كأنما سطرت سطرا لما كتبت فروعها من بديع الخط بالقلم
مثل الغمامة أنى سار سائرة تقيه حر وطيس للهجير حمى

۞۞۞

أقسمت بالقمر المنشق إن له من قلبه نسبة مبرورة القسم
وما حوى الغار من خير ومن كرم وكل طرف من الكفار عنه عمى
فالصدق فى الغار والصديق لم يرما وهم يقولون ما بالغار من أرم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقايه الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم
ما سامنى الدهر ضيما واستجرت به إلا ونلت جواراً منه لم يضم
ولا التمست غنى الدارين من يده إلا استلمت الندى من خير مستلم
لا تنكر الوحى من رؤياه إن له قلباً إذا نامت العينان لم ينم
وذاك حين بلوغ من نبوته فليس ينكر فيه حال محتلم
تبارك الله ما وحى بمكتسب ولا نبى على غيب بمتهم
كم أبرأت وصباً باللمس راحته وأطلقت أرباً من ربقة اللمم
وأحيت السنة الشهباء دعوته حتى حكت غرة فى الأعصر الدهم
بعارض جاد أو خلت البطاح بها سيب من اليم أو سيل من العرم

۞۞۞

دعنى ووصفى آيات له ظهرت ظهور نار القرى ليلاً على علم
فالدر يزداد حسنًا وهو منتظم وليس ينقص قدراً غير منتظم

فمـا تطـاول آمـال المديـح إلـى   مـا فيه من كـرم الأخـلاق والشـيم

آيـات حـق مـن الرحمـن محدثـة   قديمـة صفـة الموصـوف بـالقدم

لـم تقـترن بزمـان وهـى تخبرنـا   عـن المعـاد وعـن عـاد وعـن إرم

دامـت لدينـا ففـاقت كـل معجـزة   مـن النبييـن إذ جـاءت ولـم تـدم

محكمـات فمـا تبقيـن مـن شـبه   لذى شقاق وما ومـا تبغين مـن حكـم

مـا حوربت قـط إلا عـاد من حـرب   أعدى الأعـادى إليهـا ملقـى السـلم

ردت بلاغتهـا دعـوى معارضهـا   رد الغيـوم يـد الجـانى عـن الحـرم

لهـا معـان كمـوج البحـر فـى مـدد   وفـوق جوهـره فـى الحسـن والقيـم

فمـا تعـد ولا تحصـى عجائبهـا   ولا تسـام علـى الإكثـار بالسـأم

قـرت بهـا عيـن قاريهـا فقلـت لـه   لقـد ظفـرت بحبـل اللـه فـاعتصم

إن تتلهـا خيفـة مـن حـر نـار لظـى   أطفأت حـر لظـى مـن وردهـا الشـبم

كأنهـا الحـوض تبيـض الوجـوه بـه   مـن العصـاة وقـد جـاءوه كـالحمم

وكـالصراط وكـالميزان معدلـة   فالقسط من غيرها فى النـاس لـم يقـم

لا تعجبَـنْ لحسـود راح ينكرهـا   تجـاهلاً وهـو عيـن الحـاذق الفهـم

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد   وينكـر الفـم طعـم الماء مـن سقـم

۞۞۞

يـا خيـر مـن يمـم العـافون سـاحته   سـعيا وفـوق متـون الأنيـق الرسـم

ومـن هـو الآيـة الكـبرى لمعتـبر   ومـن هـو النعمـة العظمـى لمغتنـم

سريت مـن حـرم ليـلاً إلـى حـرم   كما سرى البدر فـى داج مـن الظلـم

وبـت ترقـى إلـى أن نلـت منزلـة   من قاب قوسين لـم تدرك ولـم تـرم

وقدمتـك جميـع الأنبيـاء بهـا   والرسـل تقديـم مخـدوم علـى خـدم

وأنـت تخـترق السـبع الطبـاق بهـم   فـى موكـب كنـت فيـه صـاحب العلـم

حتـى إذا لـم تـدع شـأوا لمسـتبق   مـن الدنـو ولا مرقـى لمسـتنم

خفضـت كـل مقـام بالإضافـة إذ   نوديت بـالرفع مثـل المفـرد العلـم

كيمــا تفــوز بوصـــل أى مســـتتر ... عـــن العيــون وســـر أى مكتتـــم

فحـزت كـل فخـار غـير مشـترك ... وجـزت كـل مقـام غـــير مزدحـــم

وجل مقدار مـــا وليـت مـن رتـب ... وعــز إدراك مـــا أوليـت مـن نعـــم

بشرى لنــا معشـر الإسـلام إن لنـا ... مــن العنايـــة ركنـــا غـــير منهـــدم

لما دعـــا اللـــه داعينـــا لطاعتـــه ... بـــأكرم الـــرسل كنـــا أكـرم الأمـــم

۞۞۞

راعـت قلـوب العـدا أنبـــاء بعثتـــه ... كنبـــأة أجفلـــت غفـــلا مـــن الغنـــم

مـــازال يلقـــاهم فــــى كـــل معـــترك ... حتـــى حكـــوا بالقنـــا لحمـــا علـــى وضـــم

ودوا الفــرار فكـــادوا يغبطـــون بـــه ... أشـلاء شـالت مـــع العقبـان والرخـــم

تمضـى الليـــالى ولا يـدرون عدتهـــا ... مـــالم تكـن مـن ليـالى الأشـهر الحـرم

كأنمـــا الديـــن ضيـــف حـــل ســـاحتهم ... بكـــل قـــرم إلـــى لحـــم العـــدا قـــرم

يجـــر بحـــر خميـــس فـــوق ســـابحة ... يرمـــى بمـــوج مـــن الأبطـــال ملتطـــم

مـــن كـــل منتـــدب للـــه محتســـب ... يســـطو بمســـتأصل للكفـــر مصطلـــم

حتـــى غـــدت ملـــة الإسـلام وهـــى بهـــم ... مـن بعـد غربتهـــا موصولـــة الرحـــم

مكفولـــة أبـــداً منهـــم بخـــير أب ... وخـــير بعـــل فلـــم تيتـــم ولـــم تئـــم

هـــم الجبـــال فســـل عنهـــم مصـــادمهم ... مـــاذا رأى منهـــم فـــى كـــل مصطـــدم

وسـل حنينـا وسـل بـدراً وسـل أحـداً ... فصـول حتـف لهـم أدهـى مـن الوخـم

المصدرى البيض حمرا بعد ماوردت ... مـــن العـــدا كـــل مســـود مـــن اللمـــم

والكـاتبين بسـمر الخـط مـــا تركـت ... أقلامهـم حـرف جسـم غـير منعجـم

شـاكى الســلاح لهـم سـيما تمـيزهم ... والـورد يمتـــاز بالسـيما عـن السـلم

تهدى إليـك ريـاح النصـر نشـرهم ... فتحسب الزهر فى الأكمام كـل كمـى

كـأنهم فـى ظهـور الخيـل نبـت ربـاً ... من شدة الحزم لا مـن شـدة الحـزم

طـارت قلوب العدا من بأسهم فرقاً ... فمـــا تفـــرق بيـــن البهـــم والبهـــم

ومـــن تكـــن برســـول اللـــه نصرتـــه ... إن تلقـــه الأســـد فـــى آجامهـــا تجـــم

ولن ترى من ولى غير منتصر ... به ولا من عدو غير منقصم

أحل أمته فى حرز ملته ... كالليث حل مع الأشبال فى أجم

كم جدلت كلمات الله من جدل ... فيه وكم خصم البرهان من خصم

كفاك بالعلم فى الأمى معجزة ... فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

۞۞۞

خدمته بمديح أستقيل به ... ذنوب عمر مضى فى الشعر والخدم

إذ قلدانى ما تخشى عواقبه ... كأننى بهما هدى من النعم

أطعت غى الصبا فى الحالتين وما ... حصلت إلا على الآثام والندم

فياخسارة نفس فى تجارتها ... لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم

ومن يبع آجلا منه بعاجله ... يبن له الغبن فى بيع وفى سلم

إن آت ذنبا فما عهدى بمنتقض ... من النبى ولا حبلى بمنصرم

فإن لى ذمة منه بتسميتى ... محمداً وهو أوفى الخلق بالذمم

إن لم يكن فى معادى آخذا بيدى ... فضلاً وإلا فقل يازلة القدم

حاشاه أن يحرم الراجى مكارمه ... أو يرجع الجار منه غير محترم

ومنذ ألزمت أفكارى مدائحه ... وجدته لخلاصى خير ملتزم

ولن يفوت الغنى منه يدا تربت ... إن الحيا ينبت الأزهار فى الأكم

ولم أرد زهرة الدنيا التى اقتطفت ... يدا زهير بما أثنى على هرم

۞۞۞

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهك بى ... إذا الكريم تجلى باسم منتقم

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

يانفس لاتقنطى من زلة عظمت ... إن الكبائر فى الغفران كاللمم

لعل رحمة ربى حين يقسمها ... تأتى على حسب العصيان فى القسم

يارب واجعل رجائى غير منعكس ... لديك واجعل حسابى غير منخرم

والطف بعبدك فى الداريـن إن لــه ... صبرا متى تدعــه الأهـوال ينهـزم

وأذن لسـحب صـلاة منـك دائمــة ... علــى النبــى بمنهــل ومنســجم

مـا رنحت عذبات البـان ريـح صبـاً ... وأطرب العيس حـادى العيـس بـالنغم

ثم الرضا عن أبـى بكر وعن عمر ... وعن علـى وعن عثمـان ذى الكـرم

والآل والصحــب ثـم التابعين فهـم ... أهـل التقــى والنقا والحلم والكــرم

۞۞۞

يــارب بــالمصطفى بلــغ مقاصدنــا ... واغفر لنا ما مضى يا واسـع الكرم

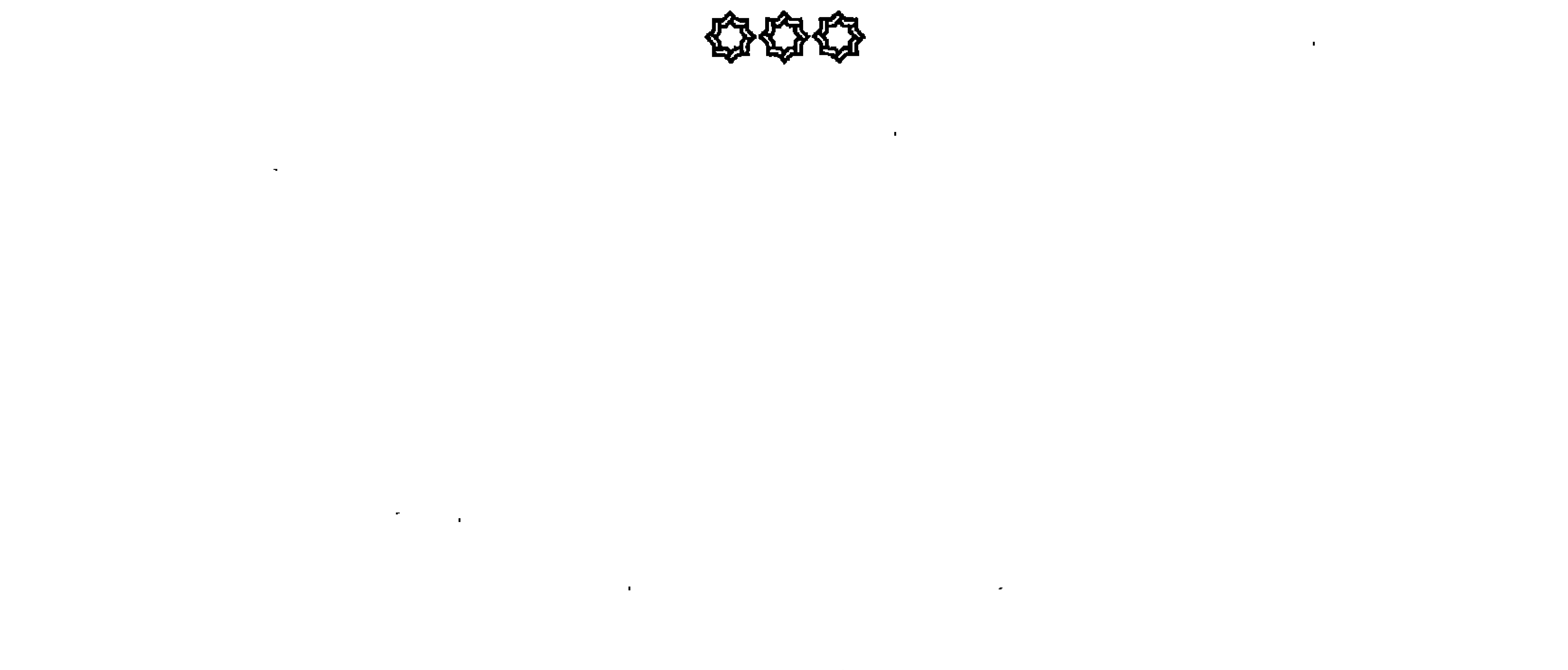
واغفـر إلهـى لكـل المسـلمين بمــا ... يتلوه فى المسجد الأقصى وفى الحرم

بجـــاه من بيته فــى طيبـــة حــرم ... واسمـــه قســـم مـــن أعظــم القسم

۞۞۞

وهـذه بـردة المختــار قــد ختمـت ... والحمـد للــه فـى بـدء وفـى ختـم

أبياتهـا قـد أتـت سـتين مـع مائـــة ... فـرج بهـا كربنـا يـا واسـع الكـرم



نهج البردة

أحمد شوقى

ريم على القاع بين البان والعلم ... أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم
رمى القضاء بعينى جؤذر أسداً ... يا ساكن القاع، أدرك ساكن الأجم
لما رنا حدثتنى النفس قائلة ... يا ويح جنبك، بالسهم المصيب رمى
جحدتها، وكتمت السهم فى كبدى ... جرح الأحبة عندى غير ذى ألم
رزقت أسمح ما فى الناس من خلق ... إذا رزقت التماس العذر فى الشيم
يالائمى فى هواه ــ والهوى قدر ــ ... لو شفك الوجد لم تعذل ولم تلم
لقد أنلتك أذنا غير واعية ... ورب منتصت والقلب فى صمم
يا ناعس الطرف؛ لاذقت الهوى أبداً ... أسهرت مضناك فى حفظ الهوى، فنم
أفديك إلفاً، ولا آلو الخيال فدى ... أغراك بالبخل من أغراه بالكرم
سرى، فصادف جرحا دامياً، فأسا ... ورب فضل على العشاق للحلم
من الموائس باناً بالربى وقنا ... اللاعبات بروحى، السافحات دمى؟
السافرات كأمثال البدور ضحى ... يغرن شمس الضحى بالحلى والعصم
القاتلات بأجفان بها سقم ... وللمنية أسباب من السقم
العاثرات بألباب الرجال، وما ... أقلن من عثرات الدل فى الرسم
المضرمات خدوداً، أسفرت، وجلت ... عن فتنة، تسلم الأكباد للضرم
الحاملات لواء الحسن مختلفاً ... أشكاله، وهو فرد غير منقسم
من كل بيضاء أو سمراء زينتا ... للعين، والحسن فى الآرام كالعصم
يرعن للبصر السامى، ومن عجب ... إذا أشرن أسرن الليث بالعنم
وضعت خدى، وقسمت الفؤاد ربى ... يرتعن فى كنس منه وفى أكم
يا بنت ذى اللبد المحمى جانبه ... ألقاك فى الغاب، أم ألقاك فى الأطم؟
ما كنت أعلم حتى عن مسكنه ... أن المنى والمنايا مضرب الخيم
من أنبت الغصن من صمصامة ذكر؟ ... وأخرج الريم من ضرغامة قرم؟
بينى وبينك من سمر القنا حجب ... ومثلها عفة عذرية العصم
لم أغش مغناك إلا فى غضون كرى ... مغناك أبعد للمشتاق من إرم

۞۞۞

يا نفس، دنياك تخفى كل مبكية ... وإن بدا لك منها حسن مبتسم

فضى بتقواك فاهاً كلما ضحكت ... كما يفض أذى الرقشاء بالثرم

مخطوبة - منذ كان الناس - خاطبة ... من أول الدهر لم ترمل ولم تئم

يفنى الزمان، ويبقى من إساءتها ... جرح بآدم يبكى منه فى الأدم

لا تحفلى بجناها، أو جنايتها ... الموت بالزهر مثل الموت بالفحم

كم نائم لا يراها، وهى ساهرة ... لولا الأمانى والأحلام لم ينم

طوراً تمدك فى نعمى وعافية ... وتارة فى قرار البؤس والوصم

كم ضللتك، ومن تحجب بصيرته ... إن يلق صابا يرد، أو علقما يسم

يا ويلتاه لنفسى! راعها ودها ... مسودة الصحف فى مبيضة اللمم

ركضتها فى مريع المعصيات، وما ... أخذت من حمية الطاعات للتخم

هامت على أثر اللذات تطلبها ... والنفس إن يدعها داعى الصبا تهم

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه ... فقوم النفس بالأخلاق تستقم

والنفس من خيرها فى خير عافية ... والنفس من شرها فى مرتع وخم

تطغى إذا مكنت من لذة وهوى ... طغى الجياد إذا عضت على الشكم

❁❁❁

إن جل ذنبى عن الغفران لى أمل ... فى الله يجعلنى فى خير معتصم

ألقى رجائى إذا عز المجير على ... مفرج الكرب فى الدارين والغمم

إذا خفضت جناح الذل أسأله ... عز الشفاعة، لم أسأل سوى أمم

وإن تقدم ذو تقوى بصالحة ... قدمت بين يديه عبرة الندم

لزمت باب أمير الأنبياء، ومن ... يمسك بمفتاح باب الله يغتنم

فكل فضل، وإحسان، وعارفة ... ما بين مستلم منه وملتزم

علقت من مدحه حبلاً أعز به ... فى يوم لا عز بالأنساب واللحم

يزرى قريض زهيرا حين أمدحه ... ولا يقاس إلى جودى ندى هرم

❁❁❁

محمد صفوة البارى، ورحمته   وبغية الله من خلق ومن نسم

وصاحب الحوض يوم الرسل سائله   متى الورود؟ وجبريل الأمين ظمى

سناؤه وسناه الشمس طالعة   فالجرم فى فلك، والضوء فى علم

قد أخطأ النجم ما نالت أبوته   من سؤود باذخ فى مظهر سنم

نموا إليه، فزادوا فى الورى شرفاً   ورب أصل لفرع فى الفخار نمى

حواه فى سبحات الطهر قبلهم   نوران قاما مقام الصلب والرحم

لما رآه بحيرا قال: نعرفه   بما حفظنا من الأسماء والسيم

سائل حراء، وروح القدس: هل علما   مصون سر عن الإدراك منكتم؟

كم جيئة وذهاب شرفت بهما   بطحاء مكة فى الإصباح والغسم

ووحشة لابن عبدالله بينهما   أشهى من الأنس بالأحباب والحشم

يسامر الوحى فيها قبل مهبطه   ومن يبشر بسيمى الخير يتسم

لما دعا الصحب يستسقون من ظمأ   فاضت يداه من التسنيم بالسنم

وظللته، فصارت تستظل به   غمامة جذبتها خيرة الديم

محبة لرسول الله أشربها   قعائد الدير، والرهبان فى القمم

إن الشمائل إن رقت يكاد بها   يغرى الجماد، ويغرى كل ذى نسم

ونودى: اقرأ، تعالى الله قائلها   لم تتصل قبل من قيلت له بفم

هناك أذن للرحمن، فامتلأت   أسماع مكة من قدسية النغم

فلا تسل عن قريش كيف حيرتها؟   وكيف نفرتها فى السهل والعلم؟

تساءلوا عن عظيم قد ألم بهم   رمى المشايخ والولدان باللمم

يا جاهلين على الهادى ودعوته   هل تجهلون مكان الصادق العلم؟

لقبتموه أمين القوم فى صغر   وما الأمين على قول بمتهم

فاق البدور، وفاق الأنبياء، فكم   بالخلق والخلق من حسن ومن عظم

جاء النبيون بالآيات، فانصرمت   وجئتنا بحكيم غير منصرم

آياته كلما طال المدى جدد   يزينهن جلال العتق والقدم

يكاد فى لفظة منه مشرفة   يوصيك بالحق، والتقوى، وبالرحم

يا أفصح الناطقين الضاد قاطبة ... حديثك الشهد عند الذائق الفهم

حليت من عطل جيد البيان به ... في كل منتثر، في حسن منتظم

بكل قول كريم أنت قائله ... تحيي القلوب، وتحيي ميت الهمم

۞۞۞

سرت بشائر بالهادي ومولده ... في الشرق والغرب مسرى النور في الظلم

تخطفت مهج الطاغين من عرب ... وطيرت أنفس الباغين من عجم

ريعت لها شرف الإيوان، فانصدعت ... من صدمة الحق، لا من صدمة القدم

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم ... إلا على صنم قد هام في صنم

والأرض مملوءة جوراً مسخرة ... لكل طاغية في الخلق محتكم

مسيطر الفرس يبغي في رعيته ... وقيصر الروم من كبر أصم عمي

يعذبان عباد الله في شبه ... ويذبحان كما ضحيت بالغنم

والخلق يفتك أقواهم بأضعفهم ... كالليث بالبهم، أو كالحوت بالبلم

۞۞۞

أسرى بك الله ليلاً، إذ ملائكه ... والرسل في المسجد الأقصى على قدم

لما خطرت به التفوا بسيدهم ... كالشهب بالبدر، أو كالجند بالعلم

صلى وراءك منهم كل ذي خطر ... ومن يفز بحبيب الله يأتمم

جبت السموات أو ما فوقهن بهم ... على منورة درية اللجم

ركوبة لك من عز ومن شرف ... لا في الجياد، ولا في الأينق الرسم

مشيئة الخالق الباري، وصنعته ... وقدرة الله فوق الشك والتهم

حتى بلغت سماء لا يطار لها ... على جناح، ولا يسعى على قدم

وقيل: كل نبي عند رتبته ... ويا محمد، هذا العرش فاستلم

خططت للدين والدنيا علومهما ... يا قارئ اللوح، بل يا لامس القلم

أحطت بينهما بالسر، وانكشفت ... لك الخزائن من علم، ومن حكم

وضاعف القرب ما قلدت من منن ... بلا عداد، وما طوقت من نعم

۞۞۞

سل عصبة الشرك حول الغار سائمة ... لولا مطاردة المختار لم تسم
هل أبصروا الأثر الوضاء، أم سمعوا ... همس التسابيح والقرآن من أمم؟
وهل تمثل نسج العنكبوت لهم ... كالغاب، والحائمات الزغب كالرخم؟
فأدبروا، ووجوه الأرض تلعنهم ... كباطل من جلال الحق منهزم
لولا يد الله بالجارين ما سلما ... وعينه حول ركن الدين لم يقم
تواريا بجناح الله، واستترا ... ومن يضم جناح الله لا يضم

۞۞۞

يا أحمد الخير، لى جاه بتسميتى ... وكيف لا يتسامى بالرسول سمى؟
المادحون وأرباب الهوى تبع ... لصاحب البردة الفيحاء ذى القدم
مديحه فيك حب خالص وهوى ... وصادق الحب يملى صادق الكلم
الله يشهد أنى لا أعارضه ... من ذا يعارض صوب العارض العرم؟
وإنما أنا بعض الغابطين، ومن ... يغبط وليك لا يذمم، ولا يلم
هذا مقام من الرحمن مقتبس ... ترمى مهابته سحبان بالبكم
البدر دونك فى حسن وفى شرف ... والبحر دونك فى خير وفى كرم
شم الجبال إذا طاولتها انخفضت ... والأنجم الزهر ما واسمتها تسم
والليث دونك بأسا عند وثبته ... إذا مشيت إلى شاكى السلاح كمى
تهفو إليك ـ وإن أدميت حبتها ... فى الحرب ـ أفئدة الأبطال والبهم
محبة الله ألقاها، وهيبته ... على ابن آمنة فى كل مصطدم
كأن وجهك تحت النقع بدر دجى ... يضئ ملتثما، أو غير ملتثم
بدر تطلع فى بدر، فغرته ... كغرة النصر، تجلو داجى الظلم
ذكرت باليتم فى القرآن تكرمة ... وقيمة اللؤلؤ المكنون فى اليتم
الله قسم بين الناس رزقهم ... وأنت خيرت فى الأرزاق والقسم
إن قلت فى الأمر: "لا" أو قلت فيه "نعم" ... فخيرة الله فى "لا" منك أو "نعم"
أخوك عيسى دعا ميتا، فقام له ... وأنت أحييت أجيالا من الرمم
والجهل موت، فإن أوتيت معجزة ... فابعث من الجهل، أو فابعث من الرجم

۞۞۞

قالوا: غزوت، ورسل الله ما بعثوا ... لقتل نفس، ولاجاءوا لسفك دم
جهل، وتضليل أحلام، وسفسطة ... فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
لما أتى لك عفواً كل ذى حسب ... تكفل السيف بالجهال والعمم
والشر إن تلقه بالخير ضقت به ... ذرعاً، وإن تلقه بالشر ينحسم
سل المسيحية الغراء: كم شربت ... بالصاب من شهوات الظالم الغلم
طريدة الشرك، يؤذيها، ويوسعها ... فى كل حين قتالاً ساطع الحدم
لولا حماة لها هبوا لنصرتها ... بالسيف ما انتفعت بالرفق والرحم
لولا مكان لعيسى عند مرسله ... وحرمة وجبت للروح فى القدم
لسمر البلدان الطهر الشريف على ... لوحين، لم يخش مؤذيه، ولم يجم
جل المسيح: وذاق الصلب شانئه ... إن العقاب بقدر الذنب والجرم
أخو النبى، وروح الله فى نزل ... فوق السماء ودون العرش محترم
علمتهم كل شئ يجهلون به ... حتى القتال وما فيه من الذمم
دعوتهم لجهاد فيه سؤددهم ... والحزم أس نظام الكون والأمم
لولاه لم نر للدولات فى زمن ... ما طال من عمد أو قر من دعم
تلك الشواهد تترى كل آونة ... فى الأعصر الغر، لا فى الأعصر الدهم
بالأمس مالت عروش، واعتلت سرر ... لولا القذائف لم تثلم، ولم تصم
أشياع عيسى أعدوا كل قاصمة ... ولم نعد سوى حالات منقصم
مهما دعيت إلى الهيجاء قمت لها ... ترمى بأسد، ويرمى الله بالرجم
على لوائك منهم كل منتقم ... لله، مستقتل فى الله، معتزم
مسبح للقاء الله، مضطرم ... شوقاً، على سابح كالبرق مضطرم
لو صادف الدهر يبغى نقلة، فرمى ... بعزمه فى رحال الدهر لم يرم
بيض، مفاليل من فعل الحروب بهم ... من أسيف الله، لا الهندية الخذم
كم فى التراب إذا فتشت عن رجل ... من مات بالعهد، أو من مات بالقسم
لولا مواهب فى بعض الأنام لما ... تفاوت الناس فى الأقدار والقيم
شريعة لك فجرت العقول بها ... عن زاخر بصنوف العلم ملتطم
يلوح حول سنا التوحيد جوهرها ... كالحلى للسيف أو كالوشى للعلم

غراء، حامت عليها أنفس، ونهى ... ومن يجد سلسلاً من حكمة يحم

نور السبيل يساس العالمون بها ... تكفلت بشباب الدهر والهرم

يجرى الزمان وأحكام الزمان على ... حكم لها، نافذ فى الخلق، مرتسم

لما اعتلت دولة الإسلام واتسعت ... مشت ممالكه فى نورها التمم

وعلمت أمة بالقفر نازلة ... رعى القياصر بعد الشاء والنعم

كم شيد المصلحون العاملون بها ... فى الشرق والغرب ملكاً باذخ العظم

للعلم والعدل والتمدين ماعزموا ... من الأمور، وما شدوا من الحزم

سرعان ما افتحوا الدنيا لملتهم ... وأنهلوا الناس من سلسالها الشبم

ساروا عليها هداة الناس، فهى بهم ... إلى الفلاح طَريق واضح العظم

لا يهدم الدهر ركنا شاد عدلهم ... وحائط البغى إن تلمسه ينهدم

نالوا السعادة فى الدارين واجتمعوا ... على عميم من الرضوان مقتسم

دع عنك روما، وآثينا، وما حوتا ... كل اليواقيت فى بغداد والتوم

وخل كسرى، وإيوانا يدل به ... هوى على أثر النيران والأيم

واترك رعمسيس، إن الملك مظهره ... فى نهضة العدل، لا فى نهضة الهرم

دار الشرائع روما كلما ذكرت ... دار السلام لها ألقت يد السلم

ما ضارعتها بياناً عند ملتأم ... ولا حكتها قضاء عند مختصم

ولا احتوت فى طراز من قياصرها ... على رشيد، ومأمون، ومعتصم

من الذين إذا سارت كتائبهم ... تصرفوا بحدود الأرض والتخم

ويجلسون إلى علم ومعرفة ... فلا يدانون فى عقل ولافهم

يطأطئ العلماء الهام إن نبسوا ... من هيبة العلم، لا من هيبة الحكم

ويمطرون، فما بالأرض من محل ... ولا بمن بات فوق الأرض من عدم

خلائف الله جلوا عن موازنة ... فلا تقيسن أملاك الورى بهم

من فى البرية كالفاروق معدلة؟ ... وكابن عبدالعزيز الخاشع الحشم؟

وكالإمام إذا ما فض مزدحماً ... بمدمع فى مآقى القوم مزدحم

الزاخر العذب فى علم وفى أدب ... والناصر الندب فى حرب وفى سلم؟

أو كابن عفان والقرآن فى يده ... يحنو عليه كما تحنو على الفطم

ويجمع الآى ترتيبا وينظمها ... عقداً بجيد الليالى غير منفصم؟

جرحان فى كبد الإسلام ما التأما ... جرح الشهيد، وجرح بالكتاب دمى

وما بلاء أبى بكر بمتهم ... بعد الجلائل فى الأفعال والخدم

بالحزم والعزم حاط الدين فى محن ... أضلت الحلم من كهل ومحتلم

وحدن بالراشد الفاروق عن رشد ... فى الموت، وهو يقين غير منبهم

يجادل القوم مستلا مهنده ... فى أعظم الرسل قدراً، كيف لم يدم؟

لا تعذلوه إذا طاف الذهول به ... مات الحبيب، فضل الصب عن رغم

***

يارب صلّ وسلم ما أردت على ... نزيل عرشك خير الرسل كلهم

محى الليالى صلاة، لا يقطعها ... إلا بدمع من الإشفاق منسجم

مسبحاً لك جنح الليل، محتملاً ... ضرا من السهد، أو ضراً من الورم

رضية نفسه، لاتشتكى سأماً ... وما مع الحب إن أخلصت من سأم

وصل ربى على آل له نجب ... جعلت فيهم لواء البيت والحرم

بيض الوجوه، ووجه الدهر ذوحلك ... شم الأنوف، وأنف الحادثات حمى

وأهد خير صلاة منك أربعة ... فى الصحب، صحبتهم مرعية الحرم

الراكبين إذا نادى النبى بهم ... ما هال من جلل، واشتد من عمم

الصابرين ونفس الأرض واجفة ... الضاحكين إلى الأخطار والقحم

***

يارب، هبت شعوب من منيتها ... واستيقظت أمم من رقدة العدم

سعد، ونحْس، وملك أنت مالكه ... تديل من نعم فيه، ومن نقم

رأى قضاؤك فينا رأى حكمته ... أكرم بوجهك من قاض ومنتقم

فالطف لأجل رسول العالمين بنا ... ولا تزد قومه خسفاً، ولا تسم

يارب، أحسنت بدء المسلمين به ... فتمم الفضل، وامنح حسن مختتم



الهمزية النبوية

أحمد شوقى

وُلد الهدى، فالكائنات ضياء   وفم الزمان تبسم وثناء
الروح والملأ الملائك حوله   للدين والدنيا به بشراء
والعرش يزهو، والحظيرة تزدهى   والمنتهى، والسدرة العصماء
وحديقة الفرقان ضاحكة الربا   بالترجمان، شذية، غناء
والوحى يقطر سلسلاً من سلسل   واللوح والقلم البديع رواء
نظمت أسامى الرسل فهى صحيفة   فى اللوح، واسم محمد طغراء
اسم الجلالة فى بديع حروفه   ألف هنالك، واسم (طه) الباء

***

يا خير من جاء الوجود، تحية   من مرسلين إلى الهدى بك جاءوا
بيت النبيّين الذى لا يلتقى   إلا الحنائف فيه والحنفاء
خير الأبوة حازهم لك (آدم)   دون الأنام، وأحرزت حواء
هم أدركوا عز النبوة وانتهت   فيها إليك العزة القعساء
خلقت لبيتك، وهو مخلوق لها   إن العظائم كفؤها العظماء
بك بشر الله السماء فزينت   وتضوعت مسكاً بك الغبراء
وبدا محياك الذى قسماته   حق، وغرته هدى وحياء
وعليه من نور النبوة رونق   ومن الخليل وهديه سيماء
أثنى (المسيح) عليه خلف سمائه   وتهللت واهتزت (العذراء)
يوم يتيه على الزمان صباحه   ومساؤه (بمحمد) وضاء
الحق عالى الركن فيه، مظفر   فى الملك لا يعلو عليه لواء
ذعرت عروش الظالمين، فزلزلت   وعلت على تيجانهم أصداء
والنار خاوية الجوانب حولهم   خمدت ذوائبها، وغاض الماء
والآى تترى، والخوارق جمة   (جبريل) روّاح بها غدّاء

نعم اليتيم بدت مخايل فضله | واليتم رزق بعضه وذكاء
في المهد يستسقى الحيا برجائه | وبقصده تستدفع البأساء
بسوى الأمانة في الصبا والصدق لم | يعرفه أهل الصدق والأمناء
يا من له الأخلاق ما تهوى العلا | منها وما يتعشق الكبراء
لو لم تقم دينا، لقامت وحدها | دينا تضيء بنوره الآناء
زانتك في الخلق العظيم شمائل | يغرى بهن ويولع الكرماء
أما الجمال؛ فأنت شمس سمائه | وملاحة (الصديق) منك أياء
والحسن من كرم الوجوه وخيره | ما أوتي القُوَّاد والزعماء
فإذا سخوت بلغت بالجود المدى | وفعلت ما لا تفعل الأنواء
وإذا عفوت فقادراً، ومقدّراً | لا يستهين بعفوك الجهلاء
وإذا رحمت فأنت أم، أو أب | هذان في الدنيا هما الرحماء
وإذا غضبت فإنما هي غضبة | في الحق، لا ضغن ولا بغضاء
وإذا رضيت فذاك في مرضاته | ورضى الكثير تحلم ورياء
وإذا خطبت فللمنابر هزة | تعرو الندى، وللقلوب بكاء
وإذا قضيت فلا ارتياب، كأنما | جاء الخصوم من السماء قضاء
وإذا حميت الماء لم يورد، ولو | أن القياصر والملوك ظماء
وإذا أجرت فأنت بيت الله، لم | يدخل عليه المستجير عداء
وإذا ملكت النفس قمت ببرّها | ولو ان ما ملكت يداك الشاء
وإذا بنيت فخير زوج عشرة | وإذا ابتنيت فدونك الآباء
وإذا صحبت رأى الوفاء مجسماً | في بردك الأصحاب والخلطاء
وإذا أخذت العهد، أو أعطيته | فجميع عهدك ذمة ووفاء
وإذا مشيت إلى العدا فغضنفر | وإذا جريت فإنك النكباء
وتمد حلمك للسفيه مداريا | حتى يضيق بعرضك السفهاء
في كل نفس من سُطاك مهابة | ولكل نفس في نداك رجاء
والرأى لم ينُض المهند دونه | كالسيف لم تضرب به الآراء

۞۞۞

يأيهـا الأمـى، حسبك رتبة ... فى العلم أن دانت بك العلماء
الذكر آية ربك الكبرى التى ... فيها لباغى المعجزات غناء
صدر البيان له إذا التقت اللغى ... وتقدم البلغاء والفصحاء
نسخت به التوراة وهى وضيئة ... وتخلف الإنجيل وهو ذكاء
لما تمشى فى (الحجاز) حكيمه ... فضت (عكاظ) به، وقام حراء
أزرى بمنطق أهله وبيانهم ... وحى يقصر دونه البلغاء
حسدوا، فقالوا: شاعر، أو ساحر ... ومن الحسود يكون الاستهزاء
قد نال (بالهادى) الكريم و (بالهدى) ... ما لم تنل من سؤدد سيناء
أمسى كأنك من جلالك أمة ... وكأنه من أنسه بيداء
يوحى إليك النور فى ظلماته ... متتابعاً، تجلى به الظلماء
دين يشيد آية فى آية ... لبناته السورات والأضواء
الحق فيه هو الأساس، وكيف لا ... والله جل جلاله البنّاء؟
أما حديثك فى العقول فمشرع ... والعلم والحكم الغوالى الماء
هو صبغة الفرقان، نفحة قدسه ... والسين من سوراته والراء
جرت الفصاحة من ينابيع النهى ... من دوحه، وتفجر الإنشاء
فى بحره للسابحين به على ... أدب الحياة وعلمها إرساء
أتت الدهور على سلافته، ولم ... تفن السلاف، ولا سلا الندماء

۞۞۞

بك يا ابن عبدالله قامت سمحة ... بالحق من ملل الهدى غراء
بنيت على التوحيد، وهى حقيقة ... نادى بها سقراط والقدماء
وجد الزُّعاف من السموم لأجلها ... كالشهد، ثم تتابع الشهداء
ومشى على وجه الزمان بنورها ... كهان وادى النيل والعرفاء
إيزيس ذات الملك حين توحدت ... أخذت قوام أمورها الأشياء
لما دعوت الناس لبى عاقل ... وأصم منك الجاهلين نداء

أبوا الخروج إليك من أوهامهم — والناس في أوهامهم سجناء

ومن العقول جداول وجلامد — ومن النفوس حرائر وإماء

داء الجماعة من أرسطاليس لم — يوصف له حتى أتيت دواء

فرسمت بعدك للعباد حكومة — لا سوقة فيها ولا أمراء

الله فوق الخلق فيها وحده — والناس تحت لوائها أكفاء

والدين يسر، والخلافة بيعة — والأمر شورى، والحقوق قضاء

الإشتراكيون أنت إمامهم — لولا دعاوى القوم والغلواء

داويت متئداً، وداووا طفرة — وأخف من بعض الدواء الداء

الحرب في حق لديك شريعة — ومن السموم الناقعات دواء

والبر عندك ذمة، وفريضة — لا منة ممنونة وجباء

جاءت فوحدت الزكاة سبيله — حتى التقى الكرماء والبخلاء

أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى — فالكل في حق الحياة سواء

فلو ان إنسانا تخيَّر ملة — ما اختار إلا دينك الفقراء

۞۞۞

يأيها المسرى به شرفا إلى — ما لا تنال الشمس والجوزاء

يتساءلون ـ وأنت أطهر هيكل ـ — : بالروح أم بالهيكل الإسراء؟

بهما سموت مطهرين، كلاهما — نور، وريحانية، وبهاء

فضل عليك لذي الجلال ومنة — والله يفعل ما يرى ويشاء

تغشى الغيوب من العوالم، كلما — طويت سماء قلدتك سماء

في كل منطقة حواشي نورها — نون، وأنت النقطة الزهراء

أنت الجمال بها، وأنت المجتلى — والكف، والمرآة، والحسناء

الله هيأ من حظيرة قدسه — نزلاً لذاتك لم يجزه علاء

العرش تحتك سدة وقوائما — ومناكب الروح الأمين وطاء

و الرسل دون العرش لم يؤذن لهم — حاشا لغيرك موعد ولقاء

۞۞۞

الخيل تأبى غير (أحمد) حامياً ... وبها إذا ذكر اسمه خيلاء

شيخ الفوارس يعلمون مكانه ... إن هيجت آسادها الهيجاء

وإذا تصدى للظبى فمهند ... أو للرماح فصعدة سمراء

وإذا رمى عن قوسه فيمينه ... قدر، وما ترمى اليمين قضاء

من كل داعى الحق همة سيفه ... فلسيفه فى الراسيات مضاء

ساقى الجريح ومطعم الأسرى، ومن ... أمنت سنابك خيله الأشلاء

إن الشجاعة فى الرجال غلاظة ... مالم تزنها رأفة وسخاء

والحرب من شرف الشعوب، فإن بغوا ... فالمجد مما يدعون براء

والحرب يبعثها القوى تجبرا ... وينوء تحت بلائها الضعفاء

كم من غزاة للرسول كريمة ... فيها رضى للحق أو إعلاء

كانت لجند الله فيها شدة ... فى إثرها للعالمين رخاء

ضربوا الضلالة ضربة ذهبت بها ... فعلى الجهالة والضلال عفاء

دعموا على الحرب السلام، وطالما ... حقنت دماء فى الزمان دماء

الحق عرض الله، كل أبية ... بين النفوس حمى له ووقاء

هل كان حول محمد من قومه ... إلا صبى واحد ونساء؟

فدعا، فلبى فى القبائل عصبة ... مستضعفون، قلائل أنضاء

ردوا ببأس العزم عنه من الأذى ... ما لا ترد الصخرة الصماء

والحق والإيمان إن صبا على ... برد ففيه كتيبة خرساء

نسفوا بناء الشرك، فهو خرائب ... واستأصلوا الأصنام، فهى هباء

يمشون تغضى الأرض منهم هيبة ... وبهم حيال نعيمها إغضاء

حتى إذا فتحت لهم أطرافها ... لم يطغهم ترف ولا نعماء

❁❁❁

يا من له عز الشفاعة وحده ... وهو المنزه، ماله شفعاء

عرش القيامة أنت تحت لوائه ... والحوض أنت حياله السقاء

تروى وتسقى الصالحين ثوابهم ... والصالحات ذخائر وجزاء

أ لمثل هذا ذقت فى الدنيا الطوى وانشق من خلق عليك رداء؟

لى فى مديحك يا رسول عرائس تيمن فيك، وشاقهن جلاء

هن الحسان، فإن قبلت تكرما فمهورهن شفاعة حسناء

أنت الذى نظم البرية دينه ماذا يقول وينظم الشعراء؟

المصلحون أصابع جمعت يداً هى أنت، بل أنت اليد البيضاء

ما جئت بابك مادحاً، بل داعياً ومن المديح تضرع ودعاء

أدعوك عن قومى الضعاف لأزمة فى مثلها يلقى عليك رجاء

أدرى رسول الله أن نفوسهم ركبت هواها، والقلوب هواء؟

متفككون، فما تضم نفوسهم ثقة، ولا جمع القلوب صفاء

رقدوا، وغرهم نعيم باطل ونعيم قوم فى القيود بلاء

ظلموا شريعتك التى نلنا بها مالم ينل فى رومة الفقهاء

مشت الحضارة فى سناها، واهتدى فى الدين والدنيا بها السعداء

صلى عليك الله ما صحب الدجى حاد، وحنت بالفلا وجناء

واستقبل الرضوان فى غرفاتهم بجنان عدن آلك السمحاء

خير الوسائل، من يقع منهم على سبب إليك فحسبى (الزهراء)



ذكرى المولد

أحمد شوقى

سلوا قلبى غداة سلا وثابا ... لعل على الجمال له عتابا

ويسأل فى الحوادث ذو صواب ... فهل ترك الجمال له صوابا؟

وكنت إذا سألت القلب يوماً ... تولى الدمع عن قلبى الجوابا

ولى بين الضلوع دم ولحم ... هما الواهى الذى ثكل الشبابا

تسرب فى الدموع، فقلت: ولى ... وصفّق فى الضلوع، فقلت: ثابا

ولو خلقت قلوب من حديد ... لما حملت كما حمل العذابا

وأحباب سقيت بهم سلافاً ... وكان الوصل من قصر حبابا

ونادمنا الشباب على بساط ... من اللذات مختلفٍ شرابا

وكل بساط عيش سوف يطوى ... وإن طال الزمان به وطابا

كأن القلب بعدهم غريب ... إذا عادته ذكرى الأهل ذابا

ولا ينبيك عن خلق الليالى ... كمن فقد الأحبة والصحابا

***

أخا الدنيا، أرى دنياك أفعى ... تبدل كل آونةٍ إهابا

وأن الرقط أيقظ هاجعات ... وأترع فى ظلال السلم نابا

ومن عجب تشيب عاشقيها ... وتفنيهم، وما برحت كعابا

فمن يغتر بالدنيا فإنى ... لبست بها فأبليت الثيابا

لها ضحك القيان إلى غبى ... ولى ضحك اللبيب إذا تغابى

جنيت بروضها ورداً، وشوكاً ... وذقت بكأسها شهداً، وصابا

فلم أر غير حكم الله حكماً ... ولم أر دون باب الله بابا

ولا عظمت فى الأشياء إلا ... صحيح العلم، والأدب اللبابا

ولا كرمت إلا وجه حر ... يقلد قومه المنن الرغابا

ولم أر مثل جمع المال داءً ... ولا مثل البخيل به مصابا

فــلا تقتلـــك شـــهوته، وزنهـــا — كمـــا تـــزن الطعـــام أو الشـــرابا
وخـــذ لبنيـــك والأيـــام ذخـــراً — وأعـــط اللـــه حصتـــه احتســـابا
فلـــو طـــالعت أحـــداث الليـــالى — وجـــدت الفقـــر أقربهـــا انتيابـــا
وأن الـــبر خـــير فـــى حيـــاة — وأبقـــى بعـــد صاحبـــه ثوابـــا
وأن الشـــر يصـــدع فاعليـــه — ولـــم أر خـــيراً بالشـــر آبـــا
فرفقـــاً بـــالبنين إذا الليـــالى — علـــى الأعقـــاب أوقعـــت العقابـــا
ولـــم يتقلـــدوا شكـــر اليتامـــى — ولا ادّرعـــوا الـــدعـــاء المستجابـــا

۞۞۞

عجبـت لمعشـــر صلـــوا وصـــاموا — عواهـــر، خشـــيةً وتقـــى كذابـــا
وتلفيهـــم حيـــال المـــال صمـــاً — إذا داعـــى الزكـــاة بهـــم أهابـــا
لقـــد كتمـــوا نصيـــب اللـــه منـــه — كـــأن اللـــه لـــم يحـــص النصابـــا
ومـــن يعـــدل بحـــب اللـــه شـــيئاً — كحـــب المـــال ضـــل هـــوىً وخابـــا
أراد اللـــــه بـــــالفقراء بـــــراً — وبالأيتـــــام حبـــــاً وارتيابـــــا
فـــرُبَّ صغـــير قـــوم علمـــوه — ســـما وحمـــى المســـومة العرابـــا
وكـــان لقومـــه نفعـــاً وفخـــراً — ولـــو تركـــوه كـــان أذىً وعابـــا
فعلـــم مـــا اســـتطعت، لعـــل جيـــلاً — ســـيأتى يحـــدث العجـــب العجابـــا
ولا ترهـــق شـــباب الحـــى يأســـاً — فـــإن اليـــأس يختـــرم الشـــبابا
يريـــد الخـــالق الـــرزق اشـــتراكاً — وإن يـــك خـــص أقوامـــاً وحـــابى
فمـــا حـــرم المجـــد جنـــى يديـــه — ولا نســـى الشـــقى، ولا المصابـــا
ولـــولا البخـــل لـــم يهلـــك فريـــق — علـــى الأقـــدار تلقـــاهم غضابـــا
تعبـــت بأهلـــه لومـــاً، وقبلـــى — دعـــاة الـــبر قـــد ســـئموا الخطابـــا
ولـــو أنـــى خطبـــت علـــى جمـــاد — فجـــرت بـــه الينـــابيع العذابـــا
ألـــم تـــر للهـــواء جـــرى فـــأفضى — إلـــى الأكـــواخ، واخـــترق القبابـــا؟
وأن الشـــمس فـــى الآفـــاق تغشـــى — حمـــى كســـرى، كمـــا تغشـــى اليبابـــا؟

وأن الماء تروى الأسد منه ... ويشفى من تلعلعها الكلابا؟
وسوى الله بينكم المنايا ... ووسدكم مع الرسل الترابا
وأرسل عائلاً منكم يتيماً ... دنا من ذى الجلال فكان قابا

۞۞۞

نبى البر، بينه سبيلاً ... وسن خلاله، وهدى الشعابا
تفرق بعد عيسى الناس فيه ... فلما جاء كان لهم متابا
وشافى النفس من نزعات شر ... كشافٍ من طبائعها الذئابا
وكان بيانه للهدى سبلاً ... وكانت خيله للحق غابا
وعلمنا بناء المجد، حتى ... أخذنا إمرة الأرض اغتصابا
وما نيل المطالب بالتمنى ... ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
وما استعصى على قوم منال ... إذا الإقدام كان لهم ركابا
تجلى مولد الهادى، وعمت ... بشائره البوادى والقصابا
وأسدت للبرية بنت وهب ... يداً بيضاء، طوقت الرقابا
لقد وضعته وهاجاً، منيراً ... كما تلد السماوات الشهابا
فقام على سماء البيت نوراً ... يضىء جبال مكة والنقابا
وضاعت يثرب الفيحاء مسكاً ... وفاح القاع أرجاء وطابا

۞۞۞

أبا الزهراء، قد جاوزت قدرى ... بمدحك، بيد أن لى انتسابا
فما عرف البلاغة ذو بيان ... إذا لم يتخذك له كتابا
مدحت المالكين، فزدت قدراً ... وحين مدحتك اقتدت السحابا
سألت الله فى أبناء دينى ... فإن تكن الوسيلة لى أجابا
وما للمسلمين سواك حصن ... إذا ما الضر مسهم ونابا
كأن النحس حين جرى عليهم ... أطار بكل مملكة غرابا
ولو حفظوا سبيلك كان نورا ... وكان من النحوس لهم حجابا

بنيـت لهـم مـن الأخـلاق ركنـاً فخـانوا الركـن، فـانهدم اضطرابـا
وكـان جنـابهم فيهـا مهيبـاً وللأخـلاق أجـدر أن تهابـا
فلولاهـا لسـاوى الليـث ذئبـاً وسـاوى الصـارم المـاضى قرابـا
فـإن قرنـت مكارمهـا بعلـم تذللـت العـلا بهمـا صعابـا
وفـى هـذا الزمـان مسـيح علـم يـرد علـى بنـى الأمـم الشـبابا



العُمَــريــة

حافظ إبراهيم

حسب القوافى وحسبى حين ألقيها أنى إلى ساحة (الفاروق) أهديها

لاهمّ، هب لى بياناً أستعين به على قضاء حقوق نام قاضيها

قد نازعتنى نفسى أن أوفيها وليس فى طوق مثلى أن يوفيها

فمر سَرىّ المعانى أن يواتينى فيها فإنى ضعيف الحال واهيها

۞۞۞

مولى المغيرة لا جادتك غادية من رحمة الله ما جادت غواديها

مزقت منه أديما حشوه همم فى ذمة الله عاليها وماضيها

طعنت خاصرة (الفاروق) منتقماً من الحنيفة فى أعلى مجاليها

فأصبحت دولة الإسلام حائرة تشكو الوجيعة لما مات آسيها

مضى وخلفها كالطود راسخة وزان بالعدل والتقوى مغانيها

تنبو المعاول عنها وهى قائمة والهادمون كثير فى نواحيها

حتى إذا ما تولاها مهدمها صاح الزوال بها فاندك عاليها

واها على دولة بالأمس قد ملأت جوانب الشرق رغدا من أياديها

كم ظللتها وحاطتها بأجنحة عن أعين الدهر قد كانت تواريها

من العناية قد ريشت قوادمها ومن صميم التقى ريشت خوافيها

والله ما غالها قدماً وكاد لها واجتث دوحتها إلا مواليها

لو أنها فى صميم العرب قد بقيت لما نعاها على الأيام ناعيها

ياليتهم سمعوا ما قاله (عمر) والروح قد بلغت منه تراقيها:

لا تكثروا من مواليكم فإن لهم مطامعا بسمات الضعف تخفيها

۞۞۞

رأيت فى الدين آراء موفقة فأنزل الله قرآناً يزكيها

وكنت أول من قرت بصحبته عين الحنيفة واجتازت أمانيها

قد كنت أعدى أعاديها فصرت لها ... بنعمة الله حصنا من أعاديها
خرجت تبغى أذاها فى (محمدها) ... وللحنيفة جبار يواليها
فلم تكد تسمع الآيات بالغة ... حتى أنكفأت تناوى من يناويها
سمعت (سورة طه) من مرتلها ... فزلزلت نية قد كنت تنويها
وقلت فيها مقالا لا يطاوله ... قول المحب الذى قد بات يطريها
ويوم أسلمت عز الحق وارتفعت ... عن كاهل الدين أثقال يعانيها
وصاح فيه (بلال) صيحة خشعت ... لها القلوب ولبت أمر باريها
فأنت فى زمن (المختار) منجدها ... وأنت فى زمن (الصديق) منجيها
كم استراك رسول الله مغتبطا ... بحكمة لك عند الرأى يلفيها

۞۞۞

وموقف لك بعد (المصطفى) افترقت ... فيه الصحابة لما غاب هاديها
بايعت فيه (أبا بكر) فبايعه ... على الخلافة قاصيها ودانيها
وأطفئت فتنة لولاك لاستعرت ... بين القبائل وانسابت أفاعيها
بات النبى مسجى فى حظيرته ... وأنت مستعر الأحشاء داميها
تهيم بين عجيج الناس فى دهش ... من نبأة قد سرى فى الأرض ساريها
تصيح: من قال نفس المصطفى قبضت ... علوت هامته بالسيف أبريها
أنساك حبك طه أنه بشر ... يجرى عليه شؤون الكون مجريها
وأنه وارد لابد مورده ... من المنية لا يعفيه ساقيها
نسيت فى حق طه آية نزلت ... وقد يذكر بالآيات ناسيها
ذهلت يوما فكانت فتنة عمم ... وثاب رشدك فانجابت دياجيها
فللسقيفة يوم أنت صاحبه ... فيه الخلافة قد شيدت رواسيها
مدت لها (الأوس) كفا كى تناولها ... فمدت (الخزرج) الأيدى تباريها
وظن كل فريق أن صاحبهم ... أولى بها وأتى الشحناء آتيها
حتى انبريت لهم فارتد طامعهم ... عنها وآخى (أبو بكر) أواخيها

وقولـــة لعلـــى قالهـــا عمـــر ... أكـرم بسـامعها أعظـم بملقيهـا!
حرقـت دارك لا أبقـى عليـك بهـا ... إن لـم تبايع وبنـت المصطفى فيهـا
ما كان غير (أبـى حفص) يفوه بها ... أمـام فـارس عدنـان وحاميهـا
كلاهمـا فـى سبيل الحـق عزمتـه ... لا تنثنـى أو يكـون الحـق ثانيهـا
فـاذكـرهمـا وتـرحـم كلما ذكروا ... أعـاظماً ألـهوا فـى الكـون تـأليهـا

۞۞۞

كم خفت فى الله مضعوفا دعـاك بـه ... وكـم أخفـت قويـا ينثنـى تيهـا
وفـى حديـث فتـى غسـان موعظـة ... لكـل ذى نعـرة يـأبى تناسـيها
فمـا القـوى قويـا رغـم عزتـه ... عند الخصومـة والفـاروق قاضيهـا
ومـا الضعيف ضعيفـا بعـد حجته ... وإن تخاصـم واليـها وراعيـهـا

۞۞۞

وما أقلت أبـا سـفيان حيـن طـوى ... عنـك الهديـة معـتزا بمهديهـا
لم يغن عنـه وقـد حاسبته حسـب ... ولا معاويـة بالشـام يجبيهـا
قيـدت منـه جليـلا شـاب مفرقـه ... فـى عـزة ليس مـن عـز يدانيهـا
قـد نوهـوا باسـمه فـى جاهليتـه ... وزاده سـيد الكونيـن تنويهـا
فـى فتـح مكـة كـانت داره حرمـا ... قـد أمـن اللـه بعـد البيـت غاشـيها
وكـل ذلـك لـم يشـفع لـدى عمـر ... فـى هفـوة لأبـى سـفيان يأتيهـا
تاللـه لـو فعـل الخطـاب فعلتـه ... لمـا ترخـص فيهـا أو يجازيهـا
فـلا الحسـابة فـى حـق يجاملهـا ... ولا القرابـة فـى بطـل يحابيهـا
وتـلك قـوة نـفس لـو أراد بـهـا ... شـم الجبـال لما قـرت رواسيهـا

۞۞۞

سل قاهر الفرس والرومان هل شفعت ... لـه الفتـوح وهـل أغنـى تواليهـا
غـزا فـأبلى وخيـل اللـه قـد عقـدت ... بـاليمن والنصـر والبشـرى نواصيهـا
يرمـى الأعـادى بـآراء مسـددة ... وبـالفوارس قـد سـالت مذاكيهـا

ما واقع الروم إلا فر قارحها ... ولا رمى الفرس إلا طاش راميها

ولم يجز بلدة إلا سمعت بها ... الله أكبر تدوى فى نواحيها

عشرون موقعة مرت محجلة ... من بعد عشر بنان الفتح تحصيها

و (خالد) فى سبيل الله موقدها ... و (خالد) فى سبيل الله صاليها

أتاه أمر (أبى حفص) فقبله ... كما يقبل آى الله تاليها

واستقبل العزل فى إبان سطوته ... ومجده مستريح النفس هاديها

فاعجب لسيد مخزوم وفارسها ... يوم النزال إذا نادى مناديها

يقوده حبشى فى عمامته ... ولا تحرك مخزوم عواليها

ألقى القياد إلى الجراح ممتثلا ... وعزة النفس لم تجرح حواشيها

وانضم للجند يمشى تحت رايته ... وبالحياة إذا مالت يفديها

وما عرته شكوك فى خليفته ... ولا ارتضى إمرة الجراح تمويها

(فخالد) كان يدرى أن صاحبه ... قد وجه النفس نحو الله توجيها

فما يعالج من قول ولا عمل ... إلا أراد به للناس ترفيها

لذاك أوصى بأولاد له (عمراً) ... لما دعاه إلى الفردوس داعيها

وما نهى (عمر) فى يوم مصرعه ... نساء مخزوم أن تبكى بواكيها

وقيل: خالفت يا (فاروق) صاحبنا ... فيه وقد كان أعطى القوس باريها

فقال: خفت افتتان المسلمين به ... وفتنة النفس أعيت من يداويها

هبوه أخطأ فى تأويل مقصده ... وأنها سقطة فى عين ناعيها

فلن تعيب حصيف الرأى زلته ... حتى يعيب سيوف الهند نابيها

تالله لم يتبع فى (ابن الوليد) هوى ... ولا شفى غلة فى الصدر يطويها

لكنه قد رأى رأياً فأتبعه ... عزيمة منه لم تثلم مواضيها

لم يرع فى طاعة المولى خؤولته ... ولا رعى غيرها فيما ينافيها

وما أصاب ابنه والسوط يأخذه ... لديه من رأفة فى الحد يبديها

إن الذى برأ (الفاروق) نزهه ... عن النقائص والأغراض تنزيها

فذاك خلق من الفردوس طينته ... الله أودع فيها ما ينقيها

لا الكبـر يسكنها، لا الظلم يصحبهـا ... لا الحقـد يعرفها، لا الحرص يغويها

شـاطرت داهيـة السـواس ثروتــه ... ولـم تخفـه بمصـر وهـو واليهـا

وأنت تعرف (عَمْـرا) فـى حواضرها ... ولست تجهل (عَمْـراً) فـى بواديهـا

لم تنبت الأرض كابن العاص داهية ... يرمى الخطوب برأى ليس يخطيها

فلـم يـرغ حيلـة فيمـا أمـرت بـه ... وقام (عمـرو) إلـى الأجمـال يزجيها

ولـم تـقل عـامـلاً منها وقد كثرت ... أمــوالــه وفشا فى الأرض فاشيها

۞۞۞

ومـا وقــى ابنـك (عبداللــه) أينقــه ... لمـا اطلعـت عليهـا فـى مراعيهـا

رأيتهـا فــى حمــاه وهــى ســارحة ... مثـل القصـور قـد اهـتزت أعاليهـا

فقلـت: مـا كــان (عبداللــه) يشــبعها ... لـو لـم يكـن ولـدى أو كـان يرويهـا

قـد اسـتعان بجـاهى فـى تجارتــه ... وبـات باسـم (أبـى حفـص) ينميهـا

ردوا النيـاق لبيـت المـال إن لــه ... حـق الزيـادة فيهـا قبـل شـاريها

وهـــذه خطـــة للــــه واضعهــا ... ردت حقوقـا فـأغنت مسـتميحيها

مـا الاشـتراكية المنشـود جانبهـا ... بيـن الـورى غيـر مبنـى مـن مبانيهـا

فـإن نكــن نحــن أهــليها ومنبتها ... فإنــهم عـرفـوهـا قبـل أهـــليها

۞۞۞

جنـى الجمـال علـى (نصـر) فغربـه ... عــن المدينــة تبكيـــه ويبكيهـا

وكـم رمـت قسمات الحسن صاحبهـا ... وأتعبـت قصبـات السـبق حاويهـا

وزهرة الـروض لـولا حسن رونقهـا ... لمـا اسـتطالت عليهـا كـف جانيهـا

كـانت لــه لمــة فينانـــة عجـب ... علـى جبيـن خليـق أن يحليهـا

وكـان أنـى مشـى مـالت عقائلهـا ... شـوقاً إليـه وكـاد الحسـن يسـبيها

هتفـن تحـت الليـالى باسـمه شـغفا ... وللحسـان تمـن فـى لياليهـا

جـززت لمتــه لمــا أتيــت بــه ... ففـاق عاطلهـا فـى الحسـن حاليهـا

فصحـت فيـه تحـول عـن مدينتهـم ... فإنهـا فتنـة أخشـى تماديهـا

وفتنــه الحسـن إن هبـت نــوافحها ... كفتنــة الحــرب إن هبـت سوافيها

۞۞۞

وراع صاحب كسرى أن رأى عمرا ... بين الرعية عطلا وهو راعيها
وعهده بملوك الفرس أن لها ... سوراً من الجند والأحراس يحميها
رآه مستغرقاً فى نومه فرأى ... فيه الجلالة فى أسمى معانيها
فوق الثرى تحت ظل الدوح مشتملا ... ببردة كاد طول العهد يبليها
فهان فى عينه ما كان يكبره ... من الأكاسر والدنيا بأيديها
وقال قولة حق أصبحت مثلا ... وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها:
أمنت لما أقمت العدل بينهم ... فنمت نوم قرير العين هانيها

۞۞۞

يا رافعا راية الشورى وحارسها ... جزاك ربك خيراً عن محبيها
لم يلهك النزع عن تأييد دولتها ... وللمنية آلام تعانيها
لم أنس أمرك للمقداد يحمله ... إلى الجماعة إنذارا وتنبيها
إن ظل بعد ثلاث رأيها شعباً ... فجرد السيف واضرب فى هواديها
فاعجب لقوة نفس ليس يصرفها ... طعم المنية مرا عن مراميها
درى عميد بنى الشورى بموضعها ... فعاش ما عاش يبنيها ويعليها
وما استبد برأى فى حكومته ... إن الحكومة تغرى مستبديها
رأى الجماعة لا تشقى البلاد به ... رغم الخلاف ورأى الفرد يشقيها

۞۞۞

يا من صدفت عن الدنيا وزينتها ... فلم يغرك من دنياك مغريها
ماذا رأيت بباب الشام حين رأوا ... أن يلبسوك من الأثواب زاهيها
ويركبوك على البرذون تقدمه ... خيل مطهمة تحلو مرائيها
مشى فهملج مختالاً براكبه ... وفى البراذين ما تزهى بعاليها
فصحت: ياقوم، كاد الزهو يقتلنى ... وداخلتنى حال لست أدريها
وكاد يصبو إلى دنياكم عمر ... ويرتضى بيع باقيه بفانيها
ردوا ركابى فلا أبغى به بدلا ... ردوا ثيابى فحسبى اليوم باليها

۞۞۞

ومـن رآه أمـام القـدر منبطحـا   والنـار تـأخذ منـه وهـو يذكيهـا
وقـد تخلـل فـى أثنـاء لحيتـه   منها الدخان وفوه غاب فـى فيهـا
رأى هنـاك أمـير المؤمنيـن علـى   حال تروع ـ لعمر الله ـ رائيها
يستقبـل النار خـوف النار فى غده   والعيـن مـن خشيـة سالـت ماقيها

* * *

إن جـاع فـى شـدة قـوم شـركتهم   فى الجوع أو تنجلى عنهم غواشيها
جوع الخليفـة ـ والدنيـا بقبضتـه ـ   فـى الزهـد منزلـة سبحان موليهـا
فمـن يبـارى أبـا حفـص وسـيرته   أو مـن يحـاول للفـاروق تشـبيها
يوم اشتهت زوجه الحلوى فقال لها: من أين لـى ثمن الحلوى فأشـريها
لا تمتطـى شـهوات النفس جامحـة   فكسرة الخبز عن حلـواك تجزيهـا
وهل يفى بيت مـال المسلمين بمـا   توحـى إليـك إذا طـاوعت موحيهـا
قـالت: لـك اللـه إنـى لسـت أرزؤه   مـالا لحاجـة نفـس كنـت أبغيهـا
لكـن أجنـب شـيئاً مـن وظيفتنـا   فـى كـل يـوم علـى حـال أسـويها
حتـى إذا مـا ملكنـا مـا يكافئهـا   شـريتها ثـم أنـى لا أثنيهـا
قال: اذهبى واعلمـى إن كنت جاهلة   أن القناعـة تغنـى نفـس كاسـيها
وأقبلـت بعـد خمـس وهـى حاملـة   دريهمـات لتقضـى مـن تشـهيها
فقـال: نبهـت منـى غـافلاً فدعـى   هذى الدراهـم إذ لا حـق لـى فيهـا
ويلـى علـى عمـر يرضـى بموفيـة   علـى الكفـاف وينهـى مسـتزيديها
مـا زاد عـن قوتنـا فالمسـلمون بـه   أولـى فقومـى لبيـت المـال رديهـا
كـذاك أخـلاقـه كـانت وما عهدت   بعـد النبـوة أخـلاق تحـاكيـها

* * *

فـى الجاهليـة والإسـلام هيبتـه   تثنـى الخطـوب فـلا تعـدو عواديهـا
فـى طـى شـدته أسـرار مرحمـة   للعـالمين ولكـن ليـس يفشـيها
وبيـن جنبيـه فـى أوفـى صرامتـه   فـؤاد والـدة ترعـى ذراريهـا
أغنـت عن الصـارم المصقول درتـه   فكـم أخـافت غـوى النفس عاتيهـا

كانت له كعصا (موسى) لصاحبها | لا ينزل البطل مجتازاً بواديها
أخاف حتى الذرارى فى ملاعبها | وراع حتى الغوانى فى ملاهيها
أريت تلك التى لله قد نذرت | أنشودة لرسول الله تهديها
قالت: نذرت لئن عاد النبى لنا | من غزوة، لعلى دفى أغنيها
ويممت حضرة الهادى وقد ملأت | أنوار طلعته أرجاء ناديها
واستأذنت ومشت بالدف واندفعت | تشجى بألحانها ما شاء مشجيها
(والمصطفى) (وأبو بكر) بجانبه | لا ينكران عليها من أغانيها
حتى إذا لاح من بعد لها (عمر) | خارت قواها وكاد الخوف يرديها
وخبأت دفها فى ثوبها فرقاً | منه وودت لو ان الأرض تطويها
قد كان حلم رسول الله يؤنسها | فجاء بطش (أبى حفص) يخشيها
فقال مهبط وحى الله مبتسماً | وفى ابتسامته معنى يواسيها
قد فر شيطانها لما رأى عمراً | إن الشياطين تخشى بأس مخزيها

۞۞۞

وفتية ولعوا بالراح فانتبذوا | لهم مكاناً وجدوا فى تعاطيها
ظهرت حائطهم لما علمت بهم | والليل معتكر الأرجاء ساجيها
حتى تبينتهم والخمر قد أخذت | تعلو ذؤابة ساقيها وحاسيها
سفهت آراءهم فيها فما لبثوا | أن أوسعوك على ما جئت تسفيها
ورمت تفقيههم فى دينهم فإذا | بالشرب قد برعوا (الفاروق) تفقيها
قالوا: مكانك قد جئنا بواحدة | وجئتنا بثلاث لا تباليها
فأت البيوت من الأبواب (يا عمر) | فقد يزن من الحيطان آتيها
واستأذن الناس إن تغشى بيوتهم | ولا تلم بدار أو تحييها
ولا تجسس فهذى الآى قد نزلت | بالنهى عنه فلم تذكر نواهيها
فعدت عنهم وقد أكبرت حجتهم | لما رأيت كتاب الله يمليها
وما أنفت وإن كانوا على حرج | من أن يحجك بالآيات عاصيها

۞۞۞

وسرحة فى سماء السرح قد رفعت ... ببيعة المصطفى من رأسها تيها

أزلتها حين غالوا فى الطواف بها ... وكان تطوافهم للدين تشويها

* * *

هذى مناقبه فى عهد دولته ... للشاهدين وللأعقاب أحكيها

فى كل واحدة منهن نابلة ... من الطبائع تغذو نفس واعيها

لعل فى أمة الإسلام نابتة ... تجلو لحاضرها مرآة ماضيها

حتى ترى بعض ما شادت أوائلها ... من الصروح وما عاناه بانيها

وحسبها أن ترى ما كان من (عمر) ... حتى ينبه منها عين غافيها



من وحى الحرمين

محمد مصطفى حمام

آنست نور الله جل جلاله ... ومشيت حيث مشى النبى وآله

وبلغت أحسن ما تمنى مسلم ... وأعز ما يسمو إليه خياله

مكنت من حظى فليس بشاغلى ... إدباره عنى ولا إقباله

من يختتم سفر الحياة برجعة ... لله طاب ختامه ومآله

فضل من الرحمن كرمنى به ... وهو الذى لم تجفنى أفضاله

ما زال ظل الله معتصمى ويا ... ويلى إذا امتنعت على ظلاله

۞۞۞

يارب، جاء إليك يسألك الهدى ... عبد له أوزاره وضلاله

قد خال آفاق الحجاز تضيق عن ... آثامه وبها تنوء جباله

عبر البحار إلى حماك ودمعه ... آماله أو دمعه أوجاله

وخطا بأرضك ذاهلاً وكأنما ... طفقت تطارد خطوه أعماله

حتى إذ البيت المحرم ضمه ... قرت بلابله وأصلح باله

۞۞۞

يارب قد بلغتنى أملى ومن ... آواه بيتك لم تخب آماله

أنزلت فى القلب اللهيف سكينة ... لا روعه باق ولا زلزاله

وأنلتنى شرف الطواف وعزه ... سبحان ربى لا يغيض نواله

وشفيت شوقى للحطيم وزمزم ... والشوق طال على الفؤاد مطاله

ولقد عببت زلال زمزم غاسلا ... قلبى به، نعم الغسول زلاله

قد حرم الرى الحرام على دمى ... وجرى بزمزم فى الدماء حلاله

ومقام إبراهيم قد جاورته ... وله سناه وقاره وجلاله

وسعدت بالحجر الكريم مقبلا ... ومجال إزجاء الدعاء مجاله

وطربت للتسبيح من طير الحمى ... وهدلت لما شاقنى هداله

هذا الحمى قد كنت بعض حمامه ... ولكل شاد فى الورى أمثاله

أنس الحمام إلى، حتى خلته ... لى من كرام الآل أو أنا آله

لى شدوه، لى أمنه، ولى اسمه ... إن لم يكن لى رسمه وجماله

وخرجت من نسك إلى نسك كما ... يهفو لأعذب مورد نهاله

وصحبت موج المحرمين وكلهم ... فرح وسربال التقى سرباله

بين الصفا والمروة انبعثوا وهم ... عرس يزف نساؤه ورجاله

نشطوا فما ناء المسن بسنه ... وقووا فما أعيا الهزيل هزاله

هان الزحام عليهمو فى نسكهم ... لا حره يشكى ولا أهواله

الله ربى وهو أرحم راحم ... تغنى الحجيج عن الظلال ظلاله

ووقفت فى عرفات أذكر وقفة ... هى موثق الإسلام وهى كماله

هى وقفة للمصطفى أرست بها ... ركن الحنيف يمينه وشماله

زكى وعلم ثم ودع قومه ... وعن الإله ووحيه أقواله

صدق الوداع، ففارق الدنيا إلى ... أهل السماء فأحسن استقباله

ما بين أضياف السماء نظيره ... ما فى كواكبها الحسان مثاله

ثم ازدلفت إلى "منى" والكون يمـ ... ـلؤه السنا والعيد هل هلاله

ونحرت والجمع العظيم مكبر ... ودم الذبائح قد جرى سلساله

ورميت بالجمرات إبليس الذى ... هو لابن آدم خسره وخباله

وأفضت للبيت العتيق تباركت ... أصباحه وتقدست آصاله

ثم اتجهت لطيبة، طوبى لمن ... شدت إلى مثوى النبى رحاله

ولقد مررت بآل بدر خاشعا ... من ذا يفوز بحظهم ويناله

قد عز عند الله منصبهم فهم ... عمال دين الله أو أبطاله

وصدحت فى حرم الرسول مؤذنا ... والشعر أطلق بالمديح عقاله

فكأنني فى مدحه حسانه ... وكأنما أنا فى الأذان بلاله

ووقفت بالصديق جل جهاده ... وأعز بأس المسلمين نضاله

وصفا لفخر المرسلين وداده ... وزكت لدى الله العلى خلاله

وهتفت بالفاروق يا من نهجه ... عدل ومنوال الهدى منواله

من علم الأقيال خشيته ومن ... كسرت نصال المشركين نصاله

وذكرت عمار البقيع وكل من ... وصلت بأسباب النبى حباله

إن الذين ذكرت، آل محمد ... أزواجه، أبناؤه، أنساله

أصهاره، أصحابه، أنصاره ... والضاربون بسيفه، ورجاله

***

ما بين مكة والمدينة موسم ... لله، قد حفلت بنا أحفاله

على قضيت حقوقه عندى فلا ... تركت فرائضه ولا أنفاله

على المتاب قد ارتضاه البارئ الـ ... متكبر الحى الشديد محاله

وأعاد حجى من رجيم، همه ... إفساد ما قدمت أو إبطاله

على من الفرق السعيد ولست من ... فرق شقى أحبطت أعماله

***

يا من يحب التائبين دعاك من ... صدق المتاب فهل يجاب سؤاله؟

المسلمون ودينهم فى محنة ... لم يخف حالهمو عليك وحاله

وأراهمو متفرقين كأنهم ... جسم سوى مزقت أوصاله

وأرهمو قد مكنوا لعدوهم ... فتملكت أعناقهم أغلاله

صال العدو لديهمو متجبرا ... واشتد فيهم بطشه ونكاله

وإخال منهم من يخون عهوده ... ومن الخيانة جاهه أو ماله

وإخال من فساقهم من غره ... إمهال رب العرش لا إهماله

وإخال منهم من يتوب لعلة ... فإذا انقضت غلب المتاب ضلاله

يارب ألزمنا صراطك تنصرف ... عنا مآسى يومنا ووباله

يا من ينير الروح باهر نوره ... ويزف ألوان الجمال جماله



رسالة فى ليلة التنفيذ

هاشم الرفاعى

أبتـاه .. مـاذا قـد يخـط بنـانى — والحبـل والجـلاد منتظـران

هـذا الكتـاب إليـك مـن زنزانـة — مقـرورة، صخريـة الجـدران

لـم تبـق إلا ليلـة أحيـا بهـا — وأحـس أن ظلامهـا أكفـانى

ستمـر يـا أبتاه .. لست أشك فى — هـذا .. وتحمـل بعدهـا جثمانـى

۞۞۞

الليـل مـن حولـى هـدوء قـاتل — والذكريـات تمـور فـى وجدانـى

ويهدنـى ألمـى فأنشـد راحتـى — فـى بضـع آيـات مـن القـرآن

والنفـس بيـن جوانحـى شـفافة — دب الخشـوع بهـا فهـز كيـانى

قـد عشت أومـن بالإله .. ولم أذق — إلا أخيـراً لـذة الإيمـان

۞۞۞

شكرا لهم .. أنـا لا أريـد طعـامهم — فلـيرفعوه فلسـت بالجوعـان

هذا الطعـام المـر مـا صنعتـه لـى — أمـى، ولا وضعـوه فـوق خوانـى

كـلا، ولـم يشـهد صحائفـه معـى — أخـوان لـى جـاءاه يسـتبقان

مـدو إلـى بـه يـداً مصبوغة — بدمـى، وهـذى غايـة الإحسان

۞۞۞

والصمـت يقطعـه رنيـن سلاسـل — عبثـت بهـن أصـابع السـجان

مـا بيـن آونـة تمـر وأختهـا — يرنـو إلـى بمقلتـى شـيطان

مـن كـوة بالبـاب يرقـب صيـده — ويعـود فـى أمـن إلـى الـدوران

أنـا لا أحـس بـأى حقـد نحـوه — مـاذا جنـى فتمسـه أضغـانى

هو طيب الأخـلاق مثلـك يـا أبـى — لـم يبـد فـى ظمـأ إلـى العـدوان

لكنـه إن نـام عنـى لحظـة .. — ذاق العيـال مـرارة الحرمـان

فلربمـا وهـو المـروع سـحنة — لـو كـان مثلـى شـاعراً لرثـانى

أو عـــاد ـ مـن يـدرى ـ إلى أولاده يومـــاً، وذكـــر صـــورتـــى فبكانى

۞۞۞

وعلـى الجدار الصلـب نـافذة، بهـا معنـى الحيـاة، غليظـة القضبـان
قـد طالمـا شـارفتها متـأملا فـى السائرين علـى الأسـى اليقظـان
فـأرى وجومـا كالضبـاب مصـورا مـافى قلـوب النـاس مـن غليـان
نفـس الشعـور لدى الجميع وإن همو كتمـوا .. وكـان المـوت فى إعلان

۞۞۞

ويدور همس فى الجوانح: ما الذى بـالثورة الحمقـاء قـد أغرانـى؟
أو لـم يكـن خـيراً لنفسـى أن أرى مثـل الجمـوع أسـير فـى إذعـان
ما ضرنـى لـو قـد سكت، وكلمـا غلـب الأسـى بـالغت فـى الكتمـان
هـذا دمـى سيسـيل يجـرى مطفئـا مـا ثـار فـى جنبـى مـن نـيران
وفـؤادى المـوار فـى نبضاتـه سـيكف مـن غـده عـن الخفقـان
والظلـم بـاق .. لـن يحطـم قيـده موتـى، ولـن يـودى بـه قربـانى
ويسيـر ركـب البغى، ليس يضيره شـاة إذا اجـتثت مـن الـقطعان

۞۞۞

هـذا حديـث النفس حيث تشف عن بشـريتى وتمـور بعـد ثـوان
وتقـول لـى: إن الحيـاة لغايـة أسـمى مـن التصفيـق للطغيـان
أنفاسـك الحـرى وإن هـى أخمـدت سـتظل تغمـر أفقهـم بدخـان
وقروح جسـمك وهـو تحت سياطهم قسـمات صبـح يتقيـه الجـانى
دمـع السـجين هنـاك فـى أغلالـه ودم الشـهيد هنـا سـيلتقيان
حتـى إذا مـا أفعمـت بهمـا الربـا لـم يبـق غـير تمـرد الفيضـان
ومن العواصف ما يكـون هبوبهـا بعـد الهـدوء وراحـة الربـان
إن احتـدام النـار فـى جـوف الـثرى أمـر يثـير حفيظـة البركـان
وتتـابع القطـرات يـنزل بعـده سـيل، يليـه تدفـق الطوفـان
فيمـوج .. يقتلـع الطغاة مـزمجراً أقـوى مـن الجبـروت والسلطـان

أنا لست أدرى هل ستذكر قصتى ... أم سوف يعزوها دجى النسيان
أو أننى سأكون فى تاريخنا ... متآمرا، أم هادم الأوثان
كل الذى أدريه أن تجرعى ... كأس المذلة ليس فى إمكانى
لو لم أكن فى ثورتى متطلبا ... غير الضياء لأمتى لكفانى
أهوى الحياة كريمة، لا قيد، لا ... إرهاب، لا استخفاف بالإنسان
فإذا سقطت سقطت أحمل عزتى ... يغلى دم الأحرار فى شريانى

✡✡✡

أبتاه إن طلع الصباح على الدنا ... وأضاء نور الشمس كل مكان
واستقبل العصفور بين غصونه ... يوماً جديداً مشرق الألوان
وسمعت أنغام التفاؤل ثرة ... تجرى على فم بائع الألبان
وأتى يدق كما تعود بابنا ... سيدق باب السجن جلادان
وأكون بعد هنيهة متأرجحاً ... فى الحبل مشدوداً إلى العيدان
ليكن عزاءك أن هذا الحبل ما ... صنعته فى هذى الربوع يدان
نسجوه فى بلد يشع حضارة ... وتضاء منه مشاعل العرفان
أو هكذا زعموا، وجىء به إلى ... بلدى الجريح على يد الأعوان

✡✡✡

أنا لا أريدك أن تعيش محطما ... فى زحمة الآلام والأشجان
إن ابنك المصفود فى أغلاله ... قد سيق نحو الموت غير مدان
فاذكر حكايات بأيام الصبا ... قد قلتها لى عن هوى الأوطان

✡✡✡

وإذا سمعت نشيج أمى فى الدجى ... تبكى شباباً ضاع فى الريعان
وتكتم الحسرات فى أعماقها ... ألماً تواريه عن الجيران
فاطلب إليها الصفح عنى، إننى ... لا أبتغى منها سوى الغفران
مازال فى سمعى رنين حديثها ... ومقالها فى رحمة وحنان
أبنى: إنى قد غدوت عليلة ... لم يبق لى جلد على الأحزان

فأذق فؤادى فرحة بالبحث عن ... بنت الحلال .. ودعك من عصيانى

كانت لها أمنية ريانة ... ياحسن آمال لها وأمانى

غزلت خيوط السعد مخضلاً .. ولم ... يكن انتقاض الغزل فى الحسبان

والآن لا أدرى بأى جوانح ... ستبيت بعدى، أم بأى جنان

هذا الذى سطرته لك يا أبى ... بعض الذى يجرى بفكر عان

لكن إذا انتصر الضياء، ومزقت ... بيد الجموع شريعة القرصان

فلسوف يذكرنى، ويكبر همتى ... من كان فى بلدى حليف هوان

وإلى لقاء تحت ظل عدالة ... قدسية الأحكام والميزان



فى ذكرى المولد

محمود الماحى

الليـــل أرقـــه بطـــول عذابــــه
صـب صفـاء الحـب مـلء إهابـه

الدمـــع والتنهيـــد مـــن أترابـــه
والوهـم والتسـهيد مـن أصحابـه

يفنـى كمـا تفنـى الشـموغ شـبابه
ويذوب حين يـذوب فـى أعصابـه

أحبابـه غـــابوا .. وطـــال غيـــابهم
هل من حديث طـاب عـن أحبابـه

بعـث الكتـاب لهـم لحـون محبـة
أتراهـم قـــرأوا سـطور كتابــه؟

هـو ذلـك الصـب المذاب صبابـة
مـل الطعـام، ومـل شـهد شـرابه

يتـــأمل الأكــــوان فــــى مرآتـــه
والبيـــد يغريـــه بلمـــع ســـرابه

الكـــأس بيـــن يديـــه شـــع بريقهـــا
لكـــن خمـــر دموعـــه أحـــرى بـــه

وكأنمـا ثملـت رؤاه .. ولـم يـذق
إحساسـه مـا سـال مـن أعنابـه

حتـى إذا هلـت عليـه بشـائر الـــ
ذكـرى وردت فيـه بعـض صوابـه

وازينـــت للمولـــد الأبـــدى دنــــ
يــاه، ودنيـا القلـب مـن أنسـابه

غلـــب الهوى بــأس النوى وتبسمت
شفتـــاه، لكـــن ذاب فـــى غـلابـه

۞۞۞

يـا سـيد الكونيـن، والثقليـن، يـا
جـد الحسـين، لقـد وقفـت ببابـه

وهتفت باسمك فى ظـلال رياضـه
ونـثرت وجـدى فـى حمـى أعتابـه

وأذبـت باسـمك كـل صعـب عنـده
ومـن ارتـوى ذابـت جميـع صعابـه

ولقـــد دعيـــت للاحتفـــال بليلـــة
نسـى الزمـان بهـا رتيـب حسـابه

فمحـوت ظنـــى بـــاليقين .. لعلنـــى
ألقـى وجـودى بعـد طـول غيابـه

ووقفـــت فـــى شـــبابتى مـــترددا
والقلـــب بيـــن بقائـــه وذهابـــه

مـاذا أقول؟ وموكـب الذكـرى سـرى
بيـن الوجـود يضـئ ظلـم شـعابه

بزغت كشمس لا غروب لهـا، وهـل
يخبـو الضيـاء وأنـت نـور شـهابه

مـاذا أقول؟ وموكـب الذكـرى سـرى
بيـن الوجـود يضـئ ظلـم شـعابه

مــاذا أقــول وأيــن وحــى الخلــد جـبريل الأميـن وأيـن ســر إيابـه

رفــت بنــات الشعــر قبـل وقدمت أيــن العـذارى؟ أيــن مــن آدابــه؟



يــا ســيدى عفــوا فلســت بصـــانع قــولا، ولسـت عليـــه كفــؤ عقابــه

عــاق البيــان لــدى أســباب لهـــا مــا للوجــود المــر فـــى أســبابه

مـا جـف ينبـوع الجمـال بمزهـرى أو مــات فـــى القيثــار عمــر شــبابه

أبـداً وحقــك يــا نبـــى، وإنمـــا الإعصــار يزحـف والدجـى بركابـه

والنفـس مزقهــا الصــراع بعــالم لهــب الدمــاء يســيل مــن أنيابــه

فـــاغفر إذن، أمـــا العتـــاب فربمـــا يحلـو مـن المحبـوب مـر عتابــه

أنـا إن سئلت القول فيك ولـم أجـب فـرض الســؤال فـأنت نـور جوابـه

والقلــب حيـن يسـر أنـت ســروره ولأنـت فـى معنـى الهـوى أدرى بـــه

يـــا ســيدى والقلــب فـــى أشــواقه لــم تطفـــئ الأحــلام نــار عذابـــه

فجر الحقيقـة لـم يزل عبر الــرؤى متحجبــا والــروح خلــف حجابـــه

حجب الضباب ضيـاءه عن نـاظرى وبصـــيرتى وقفــت أمــام ضبابـــه

إنـى دعـوت لكـى أنـــال صباحـــه وأعيــش مرتاحـــاً بـــأمن جنابـــه

ولمســـت أســتار الرضـــا بســـمائه ووطئت أرض الطهـر فــوق ترابـه

وسجدت فى أرض المتاب سجود من يرجـو مـن الرحمـن حسـن متابـــه

والفجـر مـــا زالـــت رؤاه بعيـــدة لمـع الســراب يسـيل فـى أســـرابه

إنـــى أرى للحـــق بابـــاً واحـــداً وأريـد أن أمضـــى لـــه مـــن بابـــه

إنـى أريـد الفجــر فجـراً خالصـــا يسـقى وجـود النـاس مـن أكوابـــه

لا مســـرحا تلهـــو بـــه أبطالـــه وتـدوس وجـه الديـن فـــى ألعابـه

طـن الـذبـاب على السفوح فصفقت أيـدى البغـاث علـى طنيـن ذبـابـه

وتجمـــع الطـــلاب حـــول ريائـــه باسم الظهـــور ولسـت مـن طلابـه

فمتـــى يـــريـــد اللـــه أن أمسى لـه ضيفـــا يـــريـــح القـــلب مـن أتعابـه



يـا فجـر ميـلاد النبـي ابعـث لنـا   خيطـا يضـئ لنـا طريـق ثوابـه
وصـف الحيـاة مـع النبـي أبللـت   بمدامـع الأكـوان مـن غيابـه
صـف لـي زحـام المسلمين ببابـه   وملائـك الرحمـات حـول قبابـه
أرأيـت بحـر الحـب فـي غزواتـه   والنـاس كـالأمواج فـوق عبابـه
وسـمو حكمتـه ومنطقـه الـذى   أضحت شعوب الأرض قيد رحابه
ورضـاه يـوم الفتـح عـدلا قاضيـا   جـبريل روح اللـه مـن حجابـه
أو لـم يكـن للكـون رائـده الـذى   يسـقى بمـاء الحـب قفـر يبابـه
أو لـم يكـن ظـل الهجير لروحـه   ومـرد فتـواه وفصـل خطابه

۞۞۞

يـا فجـر ميـلاد النبـي أعـد لنـا   عهـد الحقيقـة فـي دوام لبابـه
وأعد لنا الإيمـان من مهـد الهـوى   حتـى يطـل النـور مـن محرابـه
يـا سـيد الكونيـن إنـي سـاكب   دمـع النـوى والنـار فـي تسـكابه
مـازلت أنشـد فجـر أيـامي التـي   وقـف العـذاب لهـا علـى استعذابه
أنـا ذلـك الصـب المـذاب صبابـة   الدمـع والتنهيـد مـن أترابـه
ثملـت رؤاه علـى شـفا أهدابـه   والليـل أرقـه بطـول عذابـه

۞۞۞

ذكريات المولد النبوى

حامد طاهر

شرف إذا أنشدت تحت لوائه ... ومنى أحققها بفضل رضائه

وخواطر تسمو إذا ما لامست ... أعتاب روضته، وطرف ردائه

يا سيدى .. والذكريات كثيرة ... يهفو لها الظمآن فى صحرائه

أنا ما قصدتك شاعراً بمديحه ... لكن قصدتك عاشقا بصفائه

تتعثر الكلمات فوق لسانه ... والشوق مستعر بكل دمائه

وكذا المحب إذا طغت برحاؤه ... لم يدر كيف يبين عن برحائه

إن قال أعياه البيان، وإن شكا ... جرت الدموع، فخففت من دائه

فاقبل دموعى يا رسول، ولا تدع ... قلبى الضعيف معلقا برجائه

تتجاذب الأرض الخراب ربيعه ... وتشده الدنيا إلى أهوائه

مازال فى البستان بعد .. بقية ... تترقب الفجر الندى بمائه

فامنح ظماها من غديرك قطرة ... فلربما ازدهرت على إروائه

۞۞۞

يا يوم ميلاد الرسول .. تحية ... والكون محتفل بكل روائه

يتنسم الذكرى الحبيبة، كالذى ... يهفو إلى المصباح فى ظلمائه

يوم تبسمت الربى لصباحه ... وتمايلت بالبشر عند مسائه

وازينت هذى الحياة لمولد ... فاضت بشائر خيره وعطائه

الله باركه فأطلع شمسه ... فى ليلة، ضاءت بنور سنائه

وسرت إلى أرض الحجاز ملائك ... تزجى أباريق الهدى لنقائه

وتضم أطهر قادم بجناحها ... ليضم كل الكون فى أحنائه

۞۞۞

أوليس هذا الطفل يوم خروجه ... للكون أخرجه إلى إحيائه

فتحطمت شرفات كسرى وانطوى ... ذاك البناء الضخم من أبهائه

ولهيب فارس أخمدت نيرانه ... ما كان إلا شاهداً بفنائه

والجن من بعد الصعود إلى السما ... يتسقطون السر من أمنائه

قذفت بأسواط، يئز لهيبها ... فى ظهر من يغريه وهم شقائه

هى حكمة الرحمن، حتى يزدهى ... فجر الوجود على دجى ظلمائه

فيزيل أسباب العداوة والهوى ... ليسيل نهر الحب فى غبرائه

يروى قلوب الظامئين محبة ... ويبث فيها الخير من أندائه

ما كان هذا مولدا، بل مشرقاً ... طلعت على الدنيا فيوض سنائه

۞۞۞

ولد المحمد بالمحامد كلها ... ختم النبوة كان من آلائه

حمل المراضع غيره، وحليمة ... حملته محفوفاً بكل بهائه

البشر فى قسماته، والخصب فى ... خطواته، والخير قيد بقائه

وعلى الرمال تلقفته ملائك ... نزلت بأمر الله من عليائه

فتحت له الصدر الكريم، وطهرت ... قلباً يفيض النور من لألائه

۞۞۞

أضحى أمين القوم منذ شبابه ... ومطهر النزعات فى قرنائه

ما دق باب اللهو مثل رفاقه ... كلا، ولا أصغى إلى إغرائه

يرعى الشياه لكى يرق فؤاده ... ويحس أصل الداء فى عجمائه

فغدا سيرعى الناس، يرعى أمة ... تخطو إلى بر الهدى بلوائه

سائل حراء يجبك عن خلواته ... وقيامه لله تحت سمائه

وهجوده الليل الطويل مفكرا ... صوت السماء يرن فى أحنائه

ما كان أطهره نبيا هاديا ... الله كرمه بحسن ولائه

وافاه جبريل الأمين، يزف بشرى ... الوحى، مزدانا بكل روائه

"اقرأ.." وأخلدت الفيافى للصدى ... تتلقف الإلهام من إلقائه

الأرض ظمأى، والربوع جديبة ... والعقل منكفئ على أهوائه

حتى الحضارات اغتصاب جماعة ... عرق الورى، تمتص من أدوائه
كسرى هو الرب الكبير لفارس ... يتقدم القربان فى إرضائه
والقيصر المزهو يحكم شعبه ... بالنار، والتقديس من أسمائه
يا ثورة العقل الأسير .. تفجرى ... فالليل ممتد على بؤسائه
طلع الرسول على الصفا، كلماته ... الخضراء رايات على أرجائه
تنداح فى الآفاق فيض هدايه ... وتعيد للإنسان فجر صفائه

۞۞۞

أواه يا دنيا العمى، ما باله ... غشى العيون، ولج فى غلوائه
فقريش تعرفه الأمين، وإنما ... من للغواية فى كيان التائه
سخروا، وقالوا: إنما هو ساحر ... بل قد رموه بالجنون ودائه
ياسيدى، روحى فداك وأنت فى ... هذا الظلام ترد زحف غبائه
فتقول والدنيا يحركها الهوى ... ويسوقها الشيطان فى إغوائه
والله لو وضعوا الشموس براحتى ... وأتوا بهذا البدر من عليائه
ما أسكتوا صوت الرسالة فى فمى ... أو يحتوينى الموت فى أشلائه
هذا الكفاح ولم نكن ندرى به ... حتى أتيت فصغت نسج لوائه
وجلوته للناس أروع صفحة ... يسمو على الأيام صرح إبائه
فلتسمع الدنيا حديثك، وليفق ... هذا الوجود من اختناق هوائه

۞۞۞

المعجزات شواهد محسوسة ... للجاحدين النور من أعدائه
البدر منشق، وحبات الحصى ... متكلمات، والغمام بمائه
والجذع من فيض الحنين تمايلت ... أعطافه، وشكا إليك بدائه
والشاة أنطقها الذى فى ملكه ... يحميك من سم الردى وبلائه
يا دوحة القرآن .. ظلك وارف ... ولأنت فاتحة الهدى وعطائه
ماذا يزف لك البيان وصوته ... فى الأرض، والإغضاء ملء ردائه

إنى لأعجب من نواميس الورى … يتفنن الإنسان فى آرائه
والحق فى القرآن شمس هداية … لا تختفى من صبحه ومسائه
أو ما تحرك بالحياة فهزها … بعد الممات، ومد من فيحائه
انظر لأعراب الصحارى، أصبحوا … أمراء هذا الكون باستهدائه
أسبانيا والصين شطا ملكهم … فاعجب لملك ضاع من أمرائه
تركوا يد القرآن بعد صداقة … وغدوا بليل الضعف من غربائه

۞۞۞

يا سيدى، والذكريات كثيرة … يهفو لها الظمآن فى صحرائه
امدد يديك لعالم متمزق … الخوف أخرسه، وغص بدائه
يبدو لعينيه الردى من صنعه … وتضج بالإلحاد كل دمائه
مهما تفنن فالضياع بصدره … مر، يكدر منه نهر صفائه
إيمانه بالله سر سعوده … ما باله ينكب نحو شقائه

۞۞۞

يا ذكريات المولد النبوى معذرة … إذا أبعدت عن إيحائه
فجأرت بالشكوى، وثرت بعالم … نهم، يمور الحقد فى أنحائه
ماتت أغانيه، وجف غديره … وأراه يسعى قاصداً لفنائه

۞۞۞

يا سيدى، وأنا الضعيف بليله … أتنسم الإشراق من ظلمائه
قلبى يحدث بالدموع، وخاطرى … بذنوبه يدعوك صوت حدائه
رفقاً به، فلربما عادت له … نسمات راحته وصفو هنائه
فتنفس الفجر الكبير هداية … وروى الظما من أرضه وسمائه



معزوفة درويش متجول

محمد الفيتورى

شحبت روحى، صارت شفقا

شعت غيما، وسنا

كالدرويش المتعلق فى قدمى مولاه .. أنا

أتمرغ فى شجنى

أتوهج فى بدنى

غيرى أعمى .. مهما أصغى لن يبصرنى

فأنا جسد، حجر،

شئ عبر الشارع

جزر غرقى فى قاع البحر،

حريق فى الزمن الضائع

قنديل زيتى مبهوت

فى أقصى بيت .. فى بيروت

أتألق حينا، ثم أرنّق، ثم أموت

۞۞۞

ويحى .. وأنا أتلعثم نحوك يا مولاى

أجسد أحزانى، أتجرد فيك

يدك الممدودة .. أم يدى الممدودة؟

صوتك أم صوتى؟

تبكينى أم أبكيك؟

۞۞۞

فى حضرة من أهوى،

عبثت بى الأشواقْ

حدقت بلا وجه،

ورقصت بلا ساق

وزحمت براياتى وطبولى .. الآفاق

عشقى يفنى عشقى،

وفنائى استغراق

مملوكك ..

لكنى سلطان العشاقْ !!



الحلاج يدافع عن نفسه

صلاح عبدالصبور

[من مسرحيته الشعرية مأساة الحلاج ..]

أنا رجل من غمار الموالى، فقير الأرومة والمنبت

فلا حسبى ينتمى للسماء، ولا رفعتى لها ثروتى

ولدت كآلاف من يولدون، بآلاف أيام هذا الوجود

لأن فقيراً ـ بذات مساء ـ سعى نحو حضن فقيره

وأطفأ فيه مرارة أيامه القاسية

نموت كآلاف من يكبرون،

حين يقتاتون خبر الشموس ..

ويسقون ماء المطر

وتلقاهم صبية يافعين حزانى على الطرقات الحزينة

فتعجب كيف نموا واستطالوا، وشبت خطاهم

وهذى الحياة ضنية

۞۞۞

تسكعت فى طرقات الحياة، دخلت سراديبها الموحشات

حجبت بكفى لهيب الظهيرة فى الفلوات

وأشعلت عينى، دليلى، أنيسى فى الظلمات

وذوبت عقلى، وزيت المصابيح، شمس النهار على صفحات الكتب

لهثت وراء العلوم سنين، ككلب يشم روائح صيد

فيتبعها، ثم يحتال حتى ينال سبيلاً إليها، فيركض، ينقض

فلم يسعد العلم قلبى، بل زادنى حيرة واجفه

بكيت لها وارتجفت

وأحسست أنى وحيد ضئيل كقطرة طل

كحبة رمل

ومنكسر تعس خائف مرتعد

فعلمى ما قادنى قط للمعرفة

وهبنى عرفت تضاريس هذا الوجود

مدائنه، وقراه

ووديانه، وذراه

وتاريخ أملاكه الأقدمين

وآثار أملاكه المحدثين

فكيف بعرفان سر الوجود، ومقصده، مبتدا أمره، منتهاه

۞۞۞

لكى يرفع الخوف عنى، خوف المنون، وخوف الحياة، وخوف القدر

لكى أطمئن

سألت الشيوخ، فقيل:

تقرب إلى الله، صلّ ليرفع عنك الضلال ..

صل لتسعد

وكنت نسيت الصلاة، فصليت لله رب المنون، ورب الحياة

ورب القدر.

وكان هواء المخافة يصفر فى أعظمى ويئز كريح الفلا ..

وأنا ساجد راكع أتعبد

فأدركت أنى أعبد خوفى، لا الله ..

كنت به مشركاً لا موحد

وكان إلهى خوفى

۞۞۞

وصليت أطمع فى جنته

ليختال فى مقلتى خيال القصور ذوات القباب

وأسمع وسوسة الحلى، همس حرير الثياب
وأحسست أنى أبيع صلاتى إلى الله ..
فلو أتقنت صنعة الصلوات لزاد الثمن
وكنت به مشركاً، لا موحد
وكان إلهى الطمع

۞۞۞

وحير قلبى سؤال:
ترى قدر الشرك للكائنات
وإلا، فكيف أصلى له وحده
وأخلى فؤادى مما عداه
لكى أنزع الخوف عن خاطرى
لكى أطمئن ..
كما يلتقى الشوق شوق الصحارى العطاش بشوق السحاب السخى
كذلك كان لقائى بشيخى
أبى العاص عمرو بن أحمد، قدس تربته ربه
وجمعنا الحب، كنت أحب السؤال، وكان يحب النوال
ويعطى، فيبتل صخر الفؤاد
ويعطى، فتندى العروق ويلمع فيها اليقين
ويعطى، فيخضر غصنى
ويعطى، فيزهر نطقى وظنى
ويخلع عنى ثيابى، ويلبسنى خرقة العارفين
يقول هو الحب، سر النجاة، تعشق تفز
وتفنى بذات حبيبك، تصبح أنت المصلى، وأنت الصلاة
وأنت الديانة والرب والمسجد

تعشقت حتى عشقت، تخيلت حتى رأيت

رأيت حبيبى، وأتحفنى بكمال الجمال، جمال الكمال

فأتحفته بكمال المحبة

وأفنيت نفسى فيه



بائعة اليانصيب

محمد العزب

.. وتضحك لى .. وفى أعماق عينيها أسى يبكى
تبيع اليانصيب .. وعن مآسى ليلها تحكى
وعمر شبابها عشرون .. غافية على الشوك
بنفسجة خريف العمر شردها عن الأيك

۞۞۞

تمزق ثوبها المذعور عن صدر بلا ثمر
وباح نهار عينيها بكل قساوة المطر
وولول فى ابتسامها ربيع ذابل الشجر
وشرد خطوها الإعصار فى ليل بلا قمر

۞۞۞

مشت فى الدرب حافية يقئ خيالها الدرب!
وياكم نام فى يدها .. وفوق ذراعها .. حب
ومات .. فليس للطاوين فى أوهامنا قلب
دمى .. صخرية الأشواق لا تهفو .. ولا تصبو

۞۞۞

تبيع "اليانصيب" ولا نصيب لها .. وتنطلق
وتوشك أن تبيع سواه راغمة وتحترق
فخلف جدار بسمتها يصيح الجوع .. والأرق
وتبكى قصة بيضاء خط سطورها العرق

۞۞۞

خطاها عبر ليل التيه تسرقها وترديها
وتوشك أن تضل به .. وتطمس كل ماضيها

ونمضى نحن نلعنها .. ونصفع وجهها تيها
وننسى أنها جاعت .. وضاعت فى لياليها

۞۞۞

هنا كل الدروب السود تعرف ظلها السارى
تضيق بخطوها المذعور يصفع صمتها الضارى
فكم طافت هنا حيرى .. بلا أهل .. ولا دار
وكم رسمت على الجدران ظل ضياعها العارى

۞۞۞

وياكم جن فى فمها سؤال عاش يضنيها:
ترى أين التى ستفوز؟ إن سعادتى فيها
ويعييها الجواب .. فتلقف الأوراق تحصيها
وتمضى للطريق الجهم .. تطويه .. ويطويها

۞۞۞

وكم باتت تناجى الليل .. أطيافا .. وأشباحا
وتسأل: من أنا؟ مالى أبيع الناس أفراحا
وأغفو عبر ملحمة الضياع دجى .. وإصباحا
وأحيا فى خريف التيه أغصانا .. وأدواحا

۞۞۞

وتبكى .. إنها إنسانة تبكى .. وتبتسم
رباب رغم هول الريح لم يصمت به النغم
وأنثى أرهفت إحساسها الأرزاء والنقم
وأرهف ما يكون الحس .. حين يهزه الألم

۞۞۞

هنا .. ياكم هنا أغفت مدثرة .. ومقرورة

هنا تحيا لها فى كل درب غائم صورة
هنا تجثو وراء الظل والظلمات أسطورة
هنا ياكم لها قصص هنا فى الحى مشهورة

۞۞۞

مشت يوما ممزقة الصباح يرجها القلق
وعربد حولها الإعصار .. طار برغمها الورق
تخطفه الصغار هناك .. وهى تصيح .. تختنق؟
رويد جنونكم .. إنى من الأوراق أرتزق

۞۞۞

ويوماً أرق الجوع الرهيب مساءها الكابى
فدقت فى أسى خزيان يرعشه الدجى .. بابى
وقمت أطل .. فاستضرى بها كلبى .. وبوابى
عدت ظمآنة .. جوعى .. تعانق ليلها الخابى

۞۞۞

ويا ما عفرت باللوم وجه الآدميينا
ويا ما أجهشت بالدمع تستجدى المصلينا
وباسم الدين .. والديان .. كم ناجت غبيينا
فما أجدى البكاء هناك .. لا قمحا .. ولا تينا

۞۞۞

(ب) من النثر

قرآن الفجر

مصطفى صادق الرافعى

(كتبها قبل وفاته بثلاثة أشهر..)

كنت فى العاشرة من سنى، وقد جمعت القرآن كله حفظاً وجودته بأحكام القراءة، ونحن يومئذ فى مدينة دمنهور، عاصمة البحيرة، وكان أبى رحمه الله كبير القضاة الشرعيين فى هذا الإقليم، ومن عادته أنه كان يعتكف كل سنة فى أحد المساجد عشرة الأيام الأخيرة من شهر رمضان، يدخل المسجد فلا يبرحه إلا ليلة عيد الفطر بعد انقضاء الصوم، فهناك يتأمل ويتعبد ويتصل بمعناه الحق، وينظر إلى الزائل بمعنى الخالد، ويطل على الدنيا إطلال الواقف على الأيام السائرة، ويغير الحياة فى عمله وفكره، ويهجر تراب الأرض فلا يمشى عليه، وتراب المعانى الأرضية فلا يتعرض له، ويدخل فى الزمن المتحرر من أكثر قيود النفس، ويستقر فى المكان المملوء للجميع بفكرة واحدة لاتتغير؛ ثم لايرى من الناس إلا هذا النوع المرطب الروح بالوضوء، المدعو إلى دخول المسجد بدعوة القوة السامية، المنحنى فى ركوعه ليخضع لغير المعانى الذليلة، الساجد بين يدى ربه ليدرك معنى الجلال الأعظم.

وما هى حكمة هذه الأمكنة التى تقام لعبادة الله؟ إنها أمكنة قائمة فى الحياة، تشعر القلب البشرى فى نزاع الدنيا أنه فى إنسان لا فى بهيمة..

وذهبت ليلة فبت عند أبى فى المسجد؛ فلما كنا فى جوف الليل الأخير أيقظنى للسحور، ثم أمرنى فتوضأت لصلاة الفجر وأقبل هو على قراءته، فلما كان السحر الأعلى هتف بالدعاء المأثور: اللهم لك الحمد، أنت نورالسموات والأرض، ولك الحمد، أنت بهاء السموات والأرض، ولك الحمد، أنت زين السموات والأرض، ولك الحمد، أنت قيام السموات والأرض ومن فيهن ومن عليهن، أنت الحق ومنك الحق.. إلى آخر الدعاء.

وأقبل الناس ينتابون المسجد، فانحدرنا من تلك العلية التى يسمونها الدكة، وجلسنا ننتظر الصلاة. وكانت المساجد فى ذلك العهد تضاء بقناديل الزيت، فى كل

قنديل ذبالة يرتعش النور فيها خافتاً ضئيلاً يبص بصيصاً كأنه بعض معانى الضوء لا الضوء نفسه، فكانت هذه القناديل والظلام يرتج حولها، تلوح كأنها شقوق مضيئة فى الجو، فلا تكشف الليل ولكن تكشف أسراره الجميلة، وتبدو فى الظلمة كأنها تفسير ضعيف لمعنى غامض يومئ إليه ولا يبينه، فما تشعر النفس إلا أن العين تمتد فى ضوئها من المنظور إلى غير المنظور كأنها سر يشف عن سر..

وكان لها منظر كمنظر النجوم يتم جمال الليل بإلقائه الشعل فى أطرافه العليا، وإلباس الظلام زينته النورانية، فكان الجالس فى المسجد وقت السحر يشعر بالحياة كأنها مخبوءة، ويحس فى المكان بقايا أحلام، ويسرى حوله ذلك المجهول الذى سيخرج منه الغد، وفى هذا الظلام النورانى تتكشف له أعماقه منسكباً فيها روح المسجد، فتعتريه حالة روحانية يستكين فيها للقدر هادئاً وداعياً، راجعاً إلى نفسه، مجتمعاً فى حواسه، منفرداً بصفاته، منعكساً عليه نور قلبه، كأنه خرج من سلطان ما يضيء عليه النهار، أو كأن تلك الظلمة قد طمست فيه على ألوان الأرض.

ثم يشعر بالفجر فى ذلك الغبش عند اختلاط آخر الظلام بأول الضوء، شعوراً ندياً كأن الملائكة قد هبطت تحمل سحابة رقيقة تمسح بها على قلبه لينتضر من يبس، ويرق من غلظة. وكأنما جاءوه مع الفجر ليتناول النهار من أيديهم مبدوءاً بالرحمة، مفتتحاً بالجمال، فإذا كان شاعر النفس التقى فيه النور السماوى بالنور الإنسانى فإذا هو يتلألأ فى روحه تحت الفجر..

لا أنسى أبداً تلك الساعة ونحن فى جو المسجد، والقناديل معلقة كالنجوم فى مناطها من الفلك، وتلك السرج ترتعش فيها ارتعاش خواطر الحب، والناس جالسون عليهم وقار أرواحهم، ومن حول كل إنسان هدوء قلبه، وقد استبهمت الأشياء فى نظر العين ليلبسها الإحساس الروحانى فى النفس، فيكون لكل شيء معناه الذى هو منه ومعناه الذى ليس منه، فيخلق فيه الجمال الشعرى كما يخلق للنظر المتخيل..

لا أنسى أبداً تلك الساعة وقد انبعث فى جو المسجد صوت غرد رخيم، يشق سدفة الليل فى مثل رنين الجرس تحت الأفق العالى، وهو يرتل هذه الآيات من آخر سورة النحل:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا

عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾

وكان هذا القارئ يملك صوته أتم مايملك ذو الصوت المطرب؛ فكان يتصرف به أحلى مما يتصرف القمرى وهو ينوح فى أنغامه، وبلغ فى التطريب كل مبلغ يقدر عليه القادر، حتى لاتفسر اللذة الموسيقية بأبدع مما فسرها هذا الصوت، وما كان إلا كالبلبل هزته الطبيعة بأسلوبها فى جمال القمر، فاهتز يجاوبها بأسلوبه فى جمال التغريد.

كان صوته على ترتيب عجيب فى نغماته؛ يجمع بين قوة الرقة وبين رقة القوة، ويضطرب اضطراباً روحانيا كالحزن اعتراه الفرح على فجأة، يصيح الصيحة تترجح فى الجو وفى النفس، وتتردد فى المكان وفى القلب، ويتحول بها الكلام الإلهى إلى شيء حقيقى، يلمس الروح فيرفض عليها بمثل الندى، فإذا هى ترف رفيفاً، وإذا هى كالزهرة التى مسحها الطل.

وسمعنا القرآن غضاً طرياً كأول مانزل به الوحى، فكان هذا الصوت الجميل يدور فى نفس كأنه بعض السر الذى يدور فى نظام العالم، وكان القلب وهو يتلقى الآيات كقلب الشجرة يتناول الماء ويكسوها منه.

واهتز المكان والزمان كأنما تجلى المتكلم سبحانه وتعالى فى كلامه، وبدا الفجر كأنه واقف يستأذن الله أن يضئ من هذا النور!

وكنا نسمع قرآن الفجر وكأنما محيت الدنيا التى فى الخارج من المسجد وبطل باطلها، فلم يبق على الأرض إلا الإنسانية الطاهرة ومكان العبادة، وهذه هى معجزة الروح متى كان الإنسان فى لذة روحه مرتفعاً على طبيعته الأرضية.

أما الطفل الذى كان فىّ يومئذ فكأنما دعى بكل ذلك ليحمل هذه الرسالة ويؤديها إلى الرجل الذى يجيء فيه من بعد، فأنا فى كل حالة أخضع لهذا الصوت: ادع إلى سبيل ربك؛ وأنا فى كل ضائقة أخشع لهذا الصوت: واصبر وما صبرك إلا بالله!



اليمامتان

مصطفى صادق الرافعى

جاء فى تاريخ الواقدى

" أن المقوقس عظيم القبط فى مصر، زوج بنته أرمانوسة من قسطنطين بن هرقل، وجهزها بأموالها وحشمها لتسير إليه، حتى يبنى عليها فى مدينة قيسارية، فخرجت إلى بلبيس وأقامت بها .. وجاء عمرو بن العاص إلى بلبيس فحاصرها حصاراً شديداً، وقاتل من بها، وقتل منهم زهاء ألف فارس، وانهزم من بقى إلى المقوقس، وأخذت أرمانوسة وجميع مالها، وأخذ كل ماكان للقبط فى بلبيس؛ فأحب عمرو ملاطفة المقوقس، فسير إليه ابنته مكرمة فى جميع مالها، مع قيس ابن أبى العاص السهمى، فسر بقدومها.."

هذا ما أثبته الواقدى فى روايته، ولم يكن معنياً إلا بأخبار المغازى والفتوح، فكان يقتصر عليها فى الرواية. أما ما أغفله فهو مانقصه نحن:

كانت لأرمانوسة وصيفة مولدة تسمى مارية، ذات جمال يونانى أتمته مصر ومسحته بسحرها، فزاد جمالها على أن يكون مصرياً، ونقص الجمال اليونانى أن يكونه، فهو أجمل منهما. ولمصر طبيعة خاصة فى الحسن، فهى قد تهمل شيئاً فى جمال نسائها، أو تشعث منه، وقد لاتوفيه جهد محاسنها الرائعة، ولكن متى نشأ فيها جمال ينزع إلى أصل أجنبى، أفرغت فيه سحرها إفراغا، وأبت إلا أن تكون الغالبة عليه، وجعلته آيتها فى المقابلة بينه فى طابعه المصرى، وبين أصله فى طبيعة أرضه كائنة ما كانت، تغار على سحرها أن يكون إلا الأعلى!

وكانت مارية هذه مسيحية قوية الدين والعقل، اتخذها المقوقس كنيسة حية لابنته، وهو كان والياً وبطريركا على مصر من قبل هرقل؛ وكان من عجائب صنع الله أن الفتح الإسلامى جاء فى عهده، فجعل الله قلب هذا الرجل مفتاح القفل القبطى، فلم تكن أبوابها تدافع إلا بمقدار ما تدفع: تقاتل شيئاً من قتال غير كبير، أما الأبواب الرومية فبقيت مستغلقة حصينة لاتذعن إلا للتحطيم، ووراءها نحو مائة ألف رومى يقاتلون المعجزة الإسلامية التى جاءتهم من بلاد العرب أول ماجاءت فى أربعة آلاف رجل، ثم لم يزيدوا آخر مازادوا على اثنى عشر ألفا. وكان الروم

مائة ألف مقاتل بأسلحتهم، ولم تكن المدافع معروفة، ولكن روح الإسلام جعلت الجيش العربى كأنه اثنا عشر ألف مدفع بقنابلها، لا يقاتلون بقوة الإنسان، بل بقوة الروح الدينية التى جعلها الإسلام مادة متفجرة تشبه الديناميت قبل أن يعرف الديناميت!

ولما نزل عمرو بجيشه على بلبيس، جزعت مارية جزعاً شديداً إذ كان الروم قد أرجفوا أن هؤلاء العرب قوم جياع، ينفضهم الجدب على البلاد نفض الرمال على الأعين فى الريح العاصف، وأنهم جراد إنسانى لايغزو إلا لبطنه، وأنهم غلاظ الأكباد كالإبل التى يمتطونها، وأن النساء عندهم كالدواب يرتبطن على خسف، وأنهم لاعهد لهم ولا وفاء، ثقلت مطامعهم، وخفت أمانتهم؛ وأن قائدهم عمرو بن العاص كان جزارا فى الجاهلية، فما تدعه روح الجزار ولاطبيعته، وقد جاء بأربعة آلاف سالخ من أخلاط الناس وشذاذهم، لا أربعة آلاف مقاتل من جيش له نظام الجيش.

وتوهمت مارية أوهامها، وكانت شاعرة قد درست هى وأرمانوسة أدب يونان وفلسفتهم، وكان لها خيال مشبوب متوقد يشعرها كل عاطفة أكبر مما هى، ويضاعف الأشياء فى نفسها، وينزع إلى طبيعته المؤنثة، فيبالغ فى تهويل الحزن خاصة، ويجعل من بعض الألفاظ وقودا على الدم..

ومن ذلك استطير قلب مارية وأفزعتها الوساوس، فجعلت تندب نفسها، ووصنعت فى ذلك شعراً هذه ترجمته:

" جاءك أربعة آلاف جزار أيتها الشاة المسكينة؟

" ستذوق كل شعرة منك ألم الذبح قبل أن تذبحى؟

" جاءك أربعة آلاف خاطف أيتها العذراء المسكينة؟

" ستموتين أربعة آلاف ميتة قبل الموت!

" قونى ياإلهى، لأغمد فى صدرى سكينا يرد عنى الجزارين!

" يا إلهى قو هذه العذراء لتتزوج الموت قبل أن يتزوجها العربى.."



وذهبت تتلو شعرها على أرمانوسة فى صوت حزين يتوجع، فضحكت هذه وقالت: أنت واهمة يا مارية؛ أنسيت أن أبى قد أهدى إلى نبيهم بنت (أنصنا) فكانت عنده فى مملكة بعضها السماء وبعضها القلب؟ لقد أخبرنى أبى أنه بعث بها لتكشف له عن حقيقة هذا الدين وحقيقة هذا النبى، وأنها أنفذت إليه دسيساً يعلمه أن هؤلاء المسلمين هم العقل الجديد الذى سيضع فى العالم تمييزه بين الحق والباطل، وأن نبيهم أطهر من السحابة فى سمائها، وأنهم جميعاً ينبعثون من حدود دينهم وفضائله، لا من حدود أنفسهم وشهواتها، وإذا سلوا السيف سلوه بقانون، وإذا أغمدوه أغمدوه بقانون. وقالت عن النساء: لأن تخاف المرأة على عفتها من أبيها أقرب من أن تخاف عليها من أصحاب هذا النبى؛ فإنهم جميعاً فى واجبات القلب وواجبات العقل، ويكاد الضمير الإسلامى فى الرجل منهم يكون حاملاً سلاحاً يضرب صاحبه إذا هم بمخالفته.

وقال أبى: إنهم لايغيرون على الأمم، ولايحاربونها حرب الملك؛ وإنما تلك طبيعة الحركة للشريعة الجديدة، تتقدم فى الدنيا حاملة السلاح والأخلاق، قوية فى ظاهرها وباطنها، فمن وراء أسلحتهم أخلاقهم؛ وبذلك تكون أسلحتهم نفسها ذات أخلاق.

وقال أبى: إن هذا الدين يندفع بأخلاقه فى العالم اندفاع العصارة الحية فى الشجرة الجرداء: طبيعة تعمل فى طبيعة، فليس يمضى غير بعيد حتى تخضر الدنيا وترمى ظلالها؛ وهو بذلك فوق السياسات التى تشبه فى عملها الظاهر الملفق ما يعد كطلاء الشجرة الميتة الجرداء بلون أخضر.. شتان بين عمل وعمل، وإن كان لون يشبه لونا..

فاستروحت مارية واطمأنت باطمئنان أرمانوسة، وقالت: فلا ضير علينا إذا فتحوا البلد، ولا يكون ما نستضر به؟

قالت أرمانوسة: لاضير يامارية، ولايكون إلا ما نحب لأنفسنا؛ فالمسلمون ليسوا كهؤلاء العلوج من الروم، يفهمون متاع الدنيا بفكرة الحرص عليه، والحاجة إلى حلاله وحرامه، فهم القساة الغلاظ المستكلبون كالبهائم؛ ولكنهم يفهمون متاع الدنيا بفكرة الاستغناء عنه، والتمييز بين حلاله وحرامه، فهم الإنسانيون الرحماء المتعففون.

قالت مارية: وأبيك يا أرمانوسة إن هذا لعجيب! فقد مات سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم من الفلاسفة والحكماء، وما استطاعوا أن يؤدبوا بحكمتهم وفلسفتهم إلا الكتب التى كتبوها.. فلم يخرجوا للدنيا جماعة تامة الإنسانية، فضلا عن أمة كما وصفت أنت من أمر المسلمين؛ فكيف استطاع نبيهم أن يخرج هذه الأمة، وهم يقولون إنه كان أمياً؟ أفتسخر الحقيقة من كبار الفلاسفة والحكماء وأهل السياسة والتدبير، فتدعهم يعملون عبثاً أو كالعبث، ثم تستسلم للرجل الأمى الذى لم يكتب ولم يقرأ ولم يدرس ولم يتعلم؟

قالت أرمانوسة: إن العلماء بهيئة السماء وأجرامها وحساب أفلاكها، ليسوا هم الذين يشقون الفجر ويطلعون الشمس، وأنا أرى أنه لابد من أمة طبيعية بفطرتها، يكون عملها فى الحياة إيجاد الأفكار العملية الصحيحة التى يسير بها العالم، وقد درست المسيح وعمله وزمنه فكان طيلة عمره يحاول أن يوجد هذه الأمة، غير أنه أوجدها مصغرة فى نفسه وحوارييه، وكان عمله كالبدء فى تحقيق الشىء العسير: حسبه أن يثبت معنى الإمكان فيه.

وظهور الحقيقة من هذا الرجل الأمى، هو تنبيه الحقيقة إلى نفسها، وبرهانها القاطع أنها بذلك فى مظهرها الإلهى؛ والعجيب يامارية، أن هذا النبى قد خذله قومه وناكروه وأجمعوا على خلافه، فكان فى ذلك كالمسيح، غير أن المسيح انتهى عند ذلك، أما هذا فقد ثبت ثبات الواقع حين يقع: لايرتد ولا يتغير؛ وهاجر من بلده، فكان ذلك أول خطى الحقيقة التى أعلنت أنها ستمشى فى الدنيا، وقد أخذت من يومئذ تمشى..

ولو كانت حقيقة المسيح قد جاءت للدنيا كلها لما جرت به كذلك؛ فهذا فرق آخر بينهما.

والفرق الثالث أن المسيح لم يأت إلا بعبادة واحدة، هى عبادة القلب؛ أما هذا الدين فعلمت من أبى أنه ثلاث عبادات يشد بعضها بعضا: إحداها للأعضاء، والثانية للقلب، والثالثة للنفس؛ فعبادة الأعضاء طهارتها واعتيادها الضبط، وعبادة القلب طهارته وحبه الخير؛ وعبادة النفس طهارتها وبذلها فى سبيل الإنسانية؛ وعند أبى أنهم بهذه الأخيرة سيملكون الدنيا، فلن تقهر أمة عقيدتها أن الموت أوسع الجنابين وأسعدهما.

قالت مارية: إن هذا والله لسر إلهى يدل على نفسه، فمن طبيعة الإنسان ألا تتبعث نفسه فيها عمياء: كالغضب الأعمى، والحب الأعمى، والتكبر الأعمى؛ فإذا كانت هذه الأمة الإسلامية كما قلت منبعثة هذا الانبعاث، ليس فيها إلا الشعور بذاتيتها العالية، فما بعد ذلك دليل على أن هذا الدين هو شعور الإنسان بسمو ذاتيته، وهذه هى نهاية النهايات فى الفلسفة والحكمة.

قالت أرمانوسة: وما بعد ذلك دليل على أنك تتهيئين أن تكونى مسلمة يا مارية..!

فاستضحكتا معاً، وقالت مارية: أنما ألقيت كلاما، جاريتك فيه بحسبه، فأنا وأنت فكرتان، لامسلمتان.

۞۞۞

قال الراوى: وانهزم الروم عن بلبيس، وارتدوا إلى المقوقس فى منف، وكان وحى أرمانوسة فى مارية مدة الحصار - وهى نحو الشهر - كأنه فكر سكن فكراً وتمدد فيه؛ فقد مر ذلك الكلام بما فى عقلها من حقائق النظر فى الأدب والفلسفة، فصنع ما يصنع المؤلف بكتاب ينقحه، وأنشأ لها أخيلة تجادلها وتدفعها إلى التسليم بالصحيح لأنه صحيح، والمؤكد لأنه مؤكد.

ومن طبيعة الكلام إذا أثر فى النفس، أن ينتظم فى مثل الحقائق الصغيرة التى تلقى للحفظ ؛ فكان كلام أرمانوسة فى عقل مارية هكذا:

"المسيح بدء وللبدء تكملة، مامن ذلك بد"

"لاتكون خدمة الإنسانية إلا بذات عالية لاتبالى غير سموها"

"الأمة التى تبذل كل شىء وتستمسك بالحياة جبناً وحرصاً، لاتأخذ شيئاً؛ والتى تبذل أرواحها، تأخذ كل شىء".

وجعلت هذه الحقائق الإسلامية وأمثالها تعرب هذا العقل اليونانى، فلما أراد عمرو بن العاص توجيه أرمانوسة إلى أبيها، وانتهى ذلك إلى مارية، قالت لها: لايجمل بمن كانت مثلك فى شرفها وعقلها أن تكون كالأخيذة، تتوجه حيث يسار بها، والرأى أن تبدئى هذا القائد قبل أن يبدأك؛ فأرسلى إليه فأعلميه أنك راجعة إلى

أبيك، واساليه أن يصحبك بعض رجاله؛ فتكوني الآمرة حتى في الأسر، وتصنعي صنع بنات الملوك!

قالت أرمانوسة: فلا أجد لذلك خيراً منك في لسانك ودهائك، فاذهبي إليه من قبلي، وسيصحبك الراهب (شطا)، وخذي معك كوكبة من فرساننا.

۞۞۞

قالت مارية وهي تقص على سيدتها:

لقد أديت إليه رسالتك فقال: كيف ظنها بنا؟ قلت: ظنها بفعل رجل كريم يأمره اثنان: كرمه، ودينه. فقال: أبلغيها أن نبينا صلى الله عليه وسلم، قال: "استوصوا بالقبط خيراً فإن لهم فيكم صهرا وذمة" وأعلميها أننا لسنا على غارة نغيرها، بل على نفوس نغيّرها.

قالت: فصفيه لي يامارية.

قالت: كان آتيا في جماعة من فرسانه على خيولهم العراب، كأنها شياطين تحمل شياطين من جنس آخر، فلما صار بحيث أتبينه أومأ إليه الترجمان ــ وهو وردان مولاه ــ فنظرت، فإذا هو على فرس كميت أحم لم يخلص للأسود ولا للأحمر، طويل العنق مشرف له ذؤابة أعلى ناصيته كطرة المرأة، ذيال يتختر بفارسه ويحمحم كأنه يريد أن يتكلم، مطهم..

فقطعت أرمانوسة عليها وقالت: ماسألتك صفة جواده..

قالت مارية: أما سلاحه..

قالت: ولا سلاحه، صفيه كيف رأيته: هو ..!

قالت: رأيته قصير القامة، علامة قوة وصلابة؛ وافر الهامة، علامة عقل وإرادة، أدعج العينين..

فضحكت أرمانوسة وقالت: علامة ماذا؟..

.. أبلج يشرق وجهه كأن فيه لألاء الذهب على الضوء، أيدا اجتمعت فيه القوة حتى لتكاد عيناه تأمران بنظرهما أمراً .. داهية كتب دهاؤه على جبهته العريضة

يجعل فيها معنى يأخذ من يراه؛ وكلما حاولت أن أتفرس فى وجهه رأيت وجهاً لايفسره إلا تكرار النظر إليه.

وتضرجت وجنتاها، فكان ذلك حديثا بينها وبين عينى أرمانوسة..

وقالت هذه: كذلك كل لذة لايفسرها للنفس إلا تكرارها..

فغضت مارية من طرفها وقالت: هو والله ماوصفت، وإنى ما ملأت عينى منه، وقد كدت أنكر أنه إنسان لما اعترانى من هيبته..

قالت أرمانوسة: من هيبته أم من عينيه الدعجاوين..!

ورجعت بنت المقوقس إلى أبيها فى صحبة قيس، فلما كانوا فى الطريق وجبت الظهر، فنزل قيس يصلى بمن معه، والفتاتان تنظران؛ فلما صاحوا: "الله أكبر.." ارتعش قلب مارية، وسألت الراهب شطا: ماذا يقولون؟ قال إن هذه كلمة يدخلون بها صلاتهم، كأنما يخاطبون بها الزمن أنهم الساعة فى وقت ليس منه ولا من دنياهم، وكأنهم يعلنون أنهم بين يدى من هو أكبر من الوجود؛ فإذا أعلنوا انصرافهم عن الوقت ونزاع الوقت وشهوات الوقت، فذلك هو دخولهم فى الصلاة؛ كأنهم يمحون الدنيا من النفس ساعة أو بعض ساعة، ومحوها من أنفسهم هو ارتفاعهم بأنفسهم عليها؛ انظرى، ألا ترين هذه الكلمة قد سحرتهم سحراً، فهم لا يتلتفون فى صلاتهم إلى شىء، وقد شملتهم السكينة ورجعلوا غير من كانوا، وخشعوا خشوع أعظم الفلاسفة فى تأملهم؟

قالت ماريا: ما أجمل هذه الفطرة الفلسفية! لقد تعبت الكتب لتجعل أهل الدنيا يستقرون ساعة فى سكينة الله عليهم، فما أفلحت؛ وجاءت الكنيسة فهولت على المصلين بالزخارف والصور والتماثيل والألوان، لتوحى إلى نفوسهم ضربا من الشعور بسكينة الجمال وتقديس المعنى الدينى، وهى بذلك تحتال فى نقلهم من جوهم إلى جوها؛ فكانت كساقى الخمر: إن لم يعطك الخمر عجز عن إعطائك النشوة؛ ومن ذا الذى يستطيع أن يحمل معه كنيسة على جواد أو حمار؟

قالت أرمانوسة: نعم إن الكنيسة كالحديقة؛ هى حديقة فى مكانها، وقلما توحى شيئاً إلا فى موضعها، فالكنيسة هى الجدران الأربعة؛ أما هؤلاء فمعبدهم بين جهات الأرض الأربع.

قال الراهب شطا: ولكن هؤلاء المسلمين متى فتحت عليهم الدنيا وافتتنوا بها وانغمسوا فيها، فستكون هذه الصلاة بعينها ليس فيها صلاة يومئذ.

قالت مارية: وهل تفتح عليهم الدنيا؛ وهل لهم قواد كثيرون كعمرو..؟

قال: كيف لاتفتح الدنيا على قوم لايحاربون الأمم، بل يحاربون مافيها من الظلم والكفر والرذيلة؛ وهم خارجون من الصحراء بطبيعة قوية كطبيعة الموج في المد المرتفع: ليس في داخلها إلا أنفس مندفعة إلى الخارج عنها ثم يقاتلون بهذه الطبيعة أمما ليس في الداخل منها إلا النفوس المستعدة أن تهرب إلى الداخل..!

قالت مارية: والله لكأننا ثلاثتنا على دين عمرو..

وانفتل قيس من الصلاة، وأقبل يترحل، فلما حاذى مارية كان عندها كأنما سافر ورجع، وكانت ماتزال في أحلام قلبها، وكانت من الحلم في عالم أخذ يتلاشى إلا من عمرو وما يتصل بعمرو..

وفي هذه الحياة أحوال " ثلاث" يغيب فيها الكون بحقائقه: فيغيب عن السكران، والمخبول، والنائم، وفيها حالة رابعة يتلاشى فيها السكون إلا من حقيقة واحدة تتمثل في إنسان محبوب!

وقالت مارية للراهب شطا: سله: ماأربهم من هذه الحرب؟ وهل في سياستهم أن يكون القائد الذي يفتح بلداً، حاكماً على هذا البلد..

قال قيس: حسبك أن تعلمي أن الرجل المسلم ليس إلا رجلاً عاملاً في تحقيق كلمة الله، أما حظ نفسه فهو في غيرهذه الدنيا.

وترجم الراهب كلامه هكذا: أما الفاتح فهو في الأكثر الحاكم المقيم، وأما الحرب فهي عندنا الفكرة المصلحة تريد أن تضرب في الأرض وتعمل، وليس حظ النفس شيئاً يكون من الدنيا؛ وبهذا تكون النفس أكبر من غرائزها، وتنقلب معها الدنيا برعونتها وحماقاتها وشهواتها كالطفل بين يدي رجل: فيهما قوة ضبطه وتصريفه؛ ولو كان في عقيدتنا أن ثواب أعمالنا في الدنيا، لانعكس الأمر.

قالت مارية: فسله: كيف يصنع عمرو بهذه القلة التي معه، والروم لايحصى عددهم؟ فإذا أخفق عمرو فمن عسى أن يستبدلوه منه؟ وهل هو أكبر قوادهم أو فيهم أكبر منه؟

قال الراوى: ولكن فرس قيس تمطّر وأسرع فى لحاق الخيل على المقدمة كأنه يقول: لسنا فى هذا..!

***

وفتحت مصر صلحا بين عمرو والقبط، وولى الروم مصعدين إلى الإسكندرية؛ وكانت مارية فى ذلك تستقرئ أخبار الفاتح تطوف منها على أطلال من شخص بعيد، وكان عمرو من نفسها كالمملكة الحصينة من فاتح لا يملك إلا حبه أن يأخذها. وجعلت تذوى، وشحب لونها، وبدأت تنظر النظرة التائهة، وبان عليها أثر الروح الظمأى، وحاطها اليأس بجوه الذى يحرق الدم، وبدت مجروحة المعانى؛ إذ كان يتقاتل فى نفسها الشعوران العدوان: شعور أنها عاشقة، وشعور أنها يائسة!

ورقت لها أرمانوسة، وكانت هى أيضاً تتعلق فتى رومانياً، فسهرتا ليلة تديران الرأى فى رسالة تحملها مارية من قبلها إلى عمرو كى تصل إليه، فإذا وصلت بلغت بعينيها رسالة نفسها..

واستقر الأمر أن تكون المسألة عن مارية القبطية وخبرها ونسلها وما يتعلق بها؛ مما يطول الإخبار به إذا كان السؤال من امرأة عن امرأة؛ فلما أصبحتا وقع إليهما أن عمرا قد سار إلى الإسكندرية لقتال الروم، وشاع الخبر أنه لما أمر بفسطاطه أن يقوض أصابوا يمامة قد باضت فى أعلاه، فأخبروه، فقال: " قد تحرمت فى جوارنا، أقروا الفسطاط حتى تطير فراخها، فأقروه!

***

ولم يمضى غير طويل حتى قضت مارية نحبها، وحفظت عنها أرمانوسة هذا الشعر الذى أسمته: **نشيد اليمامة:**

على فسطاط الأمير يمامه جاثمة تحضن بيضها.

تركها الأمير تصنع الحياة، وذهب هو يصنع الموت!

هى كأسعد امرأة ترى وتلمس أحلامها.

إن سعادة المرأة أولها وآخرها بعض حقائق صغيرة كهذا البيض.



على فسطاط الأمير يمامه جاثمة تحضن بيضها.
لو سئلت عن هذا البيض لقالت: هذا كنزى.
هى كأهنأ امرأة ملكت ملكها من الحياة ولم تفتقر.
هل أكلف الوجود شيئاً كثيراً إذا كلفته رجلاً واحد أحبه.

۞۞۞

على فسطاط الأمير يمامة جاثمة تحضن بيضها.
الشمس والقمروالنجوم، كلها أصغر فى عينها من هذا البيض.
هى كأرق امرأة، عرفت الرقة مرتين: فى الحب، والولادة.
هل أكلف الوجود شيئاً كثيراً إذا أردت أن أكون كهذه اليمامة.

۞۞۞

على فسطاط الأمير يمامة جاثمة تحضن بيضها.
تقول اليمامة: إن الوجود يحب أن يرى بلونين فى عين الأنثى:
مرة حبيبا كبيراً فى رجلها، ومرة حبيبا صغيراً فى أولادها.
كل شيء خاضع لقانونه، والأنثى لاتريد أن تخضع إلا لقانونها..

۞۞۞

أيتها اليمامة؛ لم تعرفى الأمير وترك لك فسطاطه!
هكذا الحظ: عدل مضاعف فى ناحية وظلم مضاعف فى ناحية أخرى؟
احمدى الله أيتها اليمامة، أن ليس عندكم لغات وأديان،
عندكم فقط،: الحب، والطبيعة، والحياة!

۞۞۞

على فسطاط الأمير يمامة جاثمة تحضن بيضها،
يمامة سعيدة، ستكون فى التاريخ كهدهد سليمان،
نسب الهدهد إلى سليمان، وستنسب اليمامة إلى عمرو..!
واهاً لك يا عمرو! ماضرّ لو عرفت اليمامة الأخرى ..!

محمد الزعيم

أحمد حسن الزيات

[نشرت فى مارس ١٩٤٠]

ولدت سنتنا الهجرية الجديدة ـ وأسفاه ـ فى هذه الأيام التى اختبل فيها إنسان الغرب فزلزل جوانب الأرض على نفسه، وأبكم فى فمه حجة العقل ووحى الضمير، فلا يتكلم إلا بلسان النار، ولا يصول إلا ببأس الحديد. وراجت المنايا الرواعد تدكدك المدن والناس فى فجوات القنابل، فلا ترى اليوم فى بلاد الحرب غير مقبور أو منتظر، ولا فى بلاد الحيدة غير مذعور أو حذر. ومفزع الشعوب فى غشية هذه الخطوب الزعماء والقادة. فليت شعرى إلى من يفزع العرب والمسلمون من هول هذه الساعة؟ لم يتح الله لهم بعد محمد وخلفائه زعيماً تجتمع عليه القلوب وترجع إليه الأمور فى أقطارهم البعيدة ووجوههم المختلفة؛ وإنما ابتلاهم بالانقسام والفرقة حين ضلوا الطريق، فكان فى كل قطعة من الوطن الأكبر سرير وأمير، وتوزعت زعامة محمد فى كل جيل وفى كل قبيل بين عشرات من الرجال العجاف، فكانت كالشعلة العظيمة الوهاجة تقطعت أقباساً كشموع الأطفال لاتقوى على نسم الريح ولا تظهر فى حلك الليل!

تعالوا يازعماء اليوم عانين خاشعين ألق عليكم درساً من زعامة محمد! إن فيكم زعماء أحزاب، وليس فيكم زعيم أمة. أما هو فكان زعيم الإنسانية جمعاء. بلغتم مكان الزعامة الإقليمية عن طريق الحزبية أو الثروة أو القوة، ثم لم تستطيعوا أن تنسوا ضعف القمىء الصغير الذى ارتفع على كواهل غيره، أما هو فقد بلغ الزعامة العالمية عن طريق الألم والفقر والغربة والجهاد، ثم جعل فى عشر سنين من الرعاة الجفاة المشتتين على رمال الفقر، أمة متماسكة الأجزاء، متحدة الأهواء، متساندة القوى، متجانسة الطباع، بلغت رسالة الله، وحكمت عامر الأرض، ومدنت أكثر العالم.

إنكم تكونون قبل الزعامة ناسًا كالناس، ثم تصبحون بعدها آلهة كالآلهة، تتكرون الخاصة، وتزدرون العامة؛ ثم تمتازون فتدخلون بفضل المبادئ المزورة والمناصب المسخرة فى دنيا النبلاء والأغنياء. وماذا بعد هذا؟ أما هو فقد ملك الحجاز واليمن، وجبى الجزيرة كلها وماداناها من العراق والشام، وظل ينام على

فراش من أدم حشوه ليف، ويبيت هو وأهله الليالى طاوين لايجدون العشاء، ويمكثون الشهر لايستوقدون ناراً، إن هو إلا التمر والماء، ويلبس الكساء الخشن والبرد الغليظ، ويقسم على الناس أقبية الديباج المخوص بالذهب؛ فإذا أقبل على أصحابه فقاموا إجلاً له قال لهم: "لاتقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً. إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد" وكان ذات مرة فى سفر فأمر أصحابه بإصلاح شاة. فقال رجل: على ذبحها، وقال ثان: على سلخها، وقال ثالث: على طبخها. فقال الرسول صلوات الله عليه: وعلى جمع الحطب. فقالوا: يارسول الله نكفيك العمل. فقال: علمت أنكم تكفوننى إياه ولكننى أكره أن أتميز عليكم!

ولما أفاض إلى الله قاسم الفيء زعيم الجزيرة وسيد الملوك كانت درعه مرهونة عند يهودى فى نفقة عياله!

إنكم حينما تتزعمون لاتفكرون إلا فى مثوبة الصديق وعقوبة العدو ثم لاتخرج أعمالكم وآمالكم عن دائرة الحزبية الصغيرة الحقيرة؛ فالمنفعة تقاس بمقياس الحزب، والسياسة تتلون بلون المنفعة. أما هو فكان يعادى فى الله ويصادق فى الله. اشتط فى أذاه المشركون فى مكة والمنافقون فى المدينة، فلما أمكنه الله منهم بسط عليهم جناح عفوه، وقال لقريش يوم الفتح: يامعشر قريش! ماترون أنى فاعل بكم؟ قالوا: خيراً! أخ كريم وابن أخ كريم! قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

ثم كانت سياسته كنور الله لاتعرف الحدود ولا الخصوص ولا الزمن، إنما هى سر الخالق العظيم استعلن فى سكون الصحراء على لسان الرسول العظيم، ثم دوّى فى غياهب الآفاق ومجاهل الأبد ليكون الشعاع الهادى لكل ضال، والنداء الموقظ لكل غافل.

إنكم تسيرون الجنود إلى الخنادق وتبيتون على حشايا الديباج، وترسلون العمال إلى المهالك وتظلون فى أبراج العاج، أما هو فكان يقاتل مع الجندى حتى يدمى، ويعمل مع العامل حتى ينصب. وكان صحبه إذا احتدم البأس واحمرت الحدق اتقوا به فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه!

ذلك محمد يازعماء اليوم وهؤلاء أنتم! فهل تحسون بينكم وبينه صلة، أوتجدون بين سياستكم وسياسته مشابهة؟

لاتقولوا إنه الوحى، فما كانت حياة الرسول كلها ولا سياسته كلها من هدى الوحى؛ ولكن قولوا إنها الرجولة الكاملة والخلق العظيم والعبقرية الفذة والشخصية القوية. وصفة القوة لاتدل على شيء في شخصية الرسول، فإنها لم تظهر فى أحد قبله ولابعده حتى يقوم بها وصف. وماظنكم بشخصية تخضع، لليتيم العديم الزارى على الآلهة والسادة، الرءوس الطاغية والنفوس العاتية والقلوب الغلاظ، فيسمتون سمته فى الخلال، وينهجون نهجه فى العيش، ويأخذون أخذه فى المعاملة، ويجمعون على حبه وطاعته وتفديته إجماعاً لايخرقه إلا الكفر بالله. فأقواله سنن تتبع، وأعماله عهود تحفظ، وآراؤه أوامر تطاع، وأحكامه أقضية تنفذ. فعليكم يازعماءنا بسيرة محمد وسياسة محمد، فلعل فيكم من تدركه نفحة من نفحاته القدسية فيجدد ما رث من دعوته، ويجمع ماشت من وحدته، ويصلح مافسد من أمته! ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾.



الحياة جميلة

أحمد حسن الزيات

الحياة جميلة، ومايشوه جمالها غير هذا الحيوان المسمى بالإنسان! لم يعش فيها كما تعيش سائر الأنواع على رسم الفطرة وهدى الطبيعة ووحى الله، وإنما عاش على قوانين من وضعه، استمدها من أثرته وكبريائه وهواه، فكان شراً على نفسه وحربا على غيره.

ربما اقتتل الوحش والوحش أو الطير والطير فى سبيل القوت أو النسل، ولكنه اقتتال الساعة لايسبقه تدبير ولا يصحبه حقد ولا تلحقه جريرة. أما الإنسان فهو وحده كدر السلام وقذى الحياة! أحيا لنفسه بفضل ذاكرته ماضياً يحفظ الثأر، وخلق لنفسه بفضل بصيرته مستقبلاً يحمل الخوف، فكان حاضره بينهما قتالاً مستحراً لاينقطع ولا يفتر، إما دركاً لثأر الأمس الذى يتذكره، وإما كسباً لقوت اليوم الذى يتبصره، وإما درءاً لخوف الغد الذى يتصوره.

۞۞۞

الحياة جميلة وأجمل منها الحى الذى يدرك هذا الجمال ويتذوقه ويستوعبه ويكتسبه، فالطائر أجمل من الروض لأنه عرف كيف ينقل ألوانه على ريشه، ويجمع ألحانه فى صوته. والأسد أجمل من الغابة لأنه استطاع أن يجعل رهبتها حية فى رهبته، وعظمتها ماثلة فى عظمته. والجمل أجمل من الصحراء لأنه اندمج فيها فسير جبلها فى هيكله وصور رملها على أديمه. والحوت أجمل من البحر، لأنه قطعه من الحياة صيغت من لين مائه وشدة موجه وسرعة تياره.

وكأنما يدرك الطبيعة ويسايرها ويتأثر بها كل شيء من ناطق وصامت إلا هذا الإنسان! فقد خرج عن سنة الله فى خلقه حتى اختصه بالأنبياء والرسل والمدارس والكتب! وهيهات أن يدخل النور فى عين الضرير، ويبلغ الصوت أذن الأصم.

۞۞۞

الحياة جميلة. وليس جمالها قصراً على قوم دون قوم، ولا على طبقة دون طبقة. إنما الجمال وضاءة الفن الإلهى، أشاعه الله فى الأرض والسماء، وهيأ المدارك للاستغراق فيه والاستمتاع به. فمن كان ذا سمع وبصر وقلب وجده فى

كل منظر وأحسه فى كل حالة. فهؤلاء الذين يمرون عليه وهم معرضـون عنـه قد فسدت فيهم طبيعة الحياة، وتبدلت فيهم ملكة الحس، فانقطع ما بينهـم وبيـن الوجـود الحق والوجدان الصحيح.

إن الجمال وسيلة الطبيعة لحفظ الحياة وبقاء النوع، تجمع به ما شـت، وتؤلـف به ما نفر. وهو بعد ذلك سرور النفس ونور القلب وسلام الـروح؛ فمـن تمـلاه فـى صوره الحسية والمعنوية فى الكون كان له منه فى كل زمـان شـباب، وفـى كـل مكان ربيع.

۞۞۞

الحيـاة جميلـة، ومظهـر الشـعور بجمالهـا المـرح والبهجـة. فأينمـا تـر الخمـود والكآبة تر الشعور الذى أدركه الكلال أو أصدأه القبح أو أفسده الشـر، فيمـوت فيـه الوعى، أو ينعكس فيه الجمال، أو ينقلب فيه الخـير. فالجمـال فـى الطبيعـة لابـد أن يجاوبه جمال فى النفس. والصفاء فى العيش لابد أن يعادله صفاء فى القلب. ومـن هنا استسر الجمال والصفو على ذوى الحس المظلم والضمير الخامد.

كن جميلاً تر الجمال فى كـل شـىء حتـى فـى الدمامـة. ومتـى امتـلأت قـواك المدركة بمفاتنه ومباهجه حلى الوجود فى صدرك، وساغ المر فـى فمـك، وسـعيت إلى مجالى الجمال فى النيل والجزيرة والريـف؛ فشـدوت مـع الطـير، وطـرت مـع الفراش، وسبحت مع السمك، واستطعت أن تطاول الأغنياء فـى العـز وتشـآهم فـى الغبطـة، وتقـول لهـم : إن السـعادة بالجمـال أضعـاف السـعادة بالمـال؛ والمـال لكـم فجدواه عليكم، ولكن الجمال لله فجدواه على الناس.

۞۞۞

الحياة جميلة، وأنت يابن الحيـاة وارث هـذا الجمـال. فلـم تـزوى عنـه وجهـك وترسـل عينيـك بالحسـد والحقـد إلـى المـترفين الخـافضين وهـم يتلهـون بـالقنص، أويـتزحلقون علـى الجليـد، أو يتمتعـون بالسـياحة؟ إن فـى القـاهرة وضـواحيهـا مـن الجمال المبذول والنعيم المشاع مايكفكف ثورتك على الغنى، ويلطف سـخطك علـى الحياة. وهذا هو النيل الجميل يجـرى بيـن ضفافـه السـحر، ويخطـر علـى سـواحله الفتون، فمن الذى يمنع جمهرة الشعب أن تداعب أمواجه بالمجاديف، وتشـق عبابـه

بالزوارق، وتقيم على شاطئيه مهرجانات السباق ومسارح اللهو؟ إنك لتمر على النيل فى أى ساعة شئت من النهار أو الليل فتحسبه من السكون المخيم على شاطئه ومائه يجرى فى مجاهل الأرض. ولولا أن عليه جسوراً لامناص من عبورها إلى الشاطئ الغربى لما ذكره القاهريون إلا كما يذكرون المقطم!

إن حياة الكسل والرخاوة والخمود والانقباض التى نحياها ألقت من ظلالها الباردة على النيل والجزيرة، فجعلت النيل فى ركود المستنقع، والحدائق فى سكون المقبرة. ولذلك ترى الناس يمشون على جنباته أو بين جنانه مطرقين صامتين كأنهم فى مجال التأمل أو فى مقام العبرة!



يوم العيد

المنفلوطى

أفضل ما سمعت فى باب المرءة والإحسان أن امرأة بائسة وقفت ليلة عيد من الأعياد بحانوت تماثيل فى باريس، يطرقه الناس فى تلك الليلة لابتياع اللعب لأطفالهم الصغار، فوقع نظرها على تمثال صغير من المرمر هو آية الآيات فى حسنه وجماله، فابتهجت بمرآه ابتهاجاً عظيماً، لالأنها غريرة بلهاء يستفزها من تلك المناظر الصبيانية مايستفز الأطفال الصغار، بل لأنها كانت تنظر إليه بعين ولدها الصغير الذى تركته فى منزلها ينتظر عودتها إليه بلعبة العيد كما وعدته، فأخذت تساوم صاحب الحانوت فيه ساعة والرجل يغالى به مغالاة شديدة حتى علمت أن يدها لاتستطيع الوصول إلى ثمنه، وأنها لاتستطيع العودة بدونه، فساقتها الضرورة – التى لايقدرها قدرها إلا من حمل بين جنبيه قلباً كقلب الأم وفؤاداً مستطاراً كفؤادها – إلى أن تمد يدها خفية إلى التمثال فتسرقه من حيث تظن أن الرجل لايراها، ولايشعر بمكانها. ثم رجعت أدراجها وقلبها يخفق فى آن واحد خفقتين مختلفتين، خفقة الخوف من عاقبة فعلتها، وخفقة السرور بالهدية الجميلة التى ستقدمها بعد لحظات قليلة إلى ولدها.

وكان صاحب الحانوت من اليقظة وحدة النظر بحيث لاتفوته معرفة ما يدور حول حانوته، فما برحت مكانها حتى تبعها يترسم مواقع أقدامها حتى عرف منزلها، ثم تركها وشأنها وذهب إلى مخفر الشرطة فجاء منه بجنديين للقبض عليها، وصعدوا جميعاً إلى الغرفة التى تسكنها ففاجآها، وهى جالسة بين يدى ولدها تنظر إلى فرحه وابتهاجه بتمثاله نظرات الغبطة والسرور، فهجم الجنديان على الأم فاعتقلاها، وهجم الرجل على الولد فانتزع التمثال من يده، فصرخ الولد صرخة عظمى، لا على التمثال الذى انتزع منه، بل على أمه المرتعدة بين يديه، وكانت أول كلمة نطق بها وهو جاث بين يدى الرجل: رحماك بأمى يامولاى.. وظل يبكى بكاءً شديداً، فجمد الرجل أمام هذا المنظر المؤثر وأطرق إطراقاً طويلاً، وإنه لكذلك إذ دقت أجراس الكنائس مؤذنة بإشراق فجر العيد، فانتفض انتفاضة شديدة وصعب عليه أن يترك هذه الأسرة الصغيرة المسكينة حزينة منكوبة فى اليوم الذى يفرح فيه الناس جميعاً، فالتفت إلى الجنديين وقال لهما: أظن أنى

أخطأت فى اتهام هذه المرأة فإنى لاأبيع هذا النوع من التماثيل.. فانصرفا لشأنهما، والتفت هو إلى الولد فاستغفره ذنبه إليه وإلى أمه، ثم مشى إلى الأم فاعتذر إليها عن خشونته وشدته، فشكرت له فضله ومروءته، وجبينها يرفض عرقا حياء من فعلتها، ولم يفارقهما حتى أسدى إليهما من النعم ماجعل عيدهما أسعد وأهنأ مما كانا يظنان.

لاتأتى ليلة العيد حتى يطلع فى سمائها نجمان مختلفان، نجم سعود، ونجم نحوس، أما الأول فللسعداء الذين أعدوا لأنفسهم صنوف الأردية والحلل، ولأولادهم اللعب والتماثيل، ولأضيافهم ألوان المطاعم والمشارب، ثم ناموا ليلتهم نوما وهادئاً مطمئناً تتطاير فيه الأحلام الجميلة حول أسرتهم تطاير الحمائم البيضاء حول المروج الخضراء،وأما الثانى فللأشقياء الذين يبيتون ليلتهم على مثل جمر الغضا، يئنون فى فراشهم أنينا يتصدع له القلب ويذوب له الصخر، حزنا على أولادهم الواقفين بين أيديهم يسألونهم بألسنتهم وبأعينهم ماذا أعدوا لهم فى هذا اليوم من ثياب يفاخرون بها أندادهم، ولعب جميلة يزينون بها مناضدهم، فيعللونهم بوعود يعلمون أنهم لايستطيعون الوفاء بها.

فهل لأولئك السعداء أن يمدوا إلى هؤلاء الأشقياء يد البر والمعروف، ويفيضوا عليهم فى ذلك اليوم السعيد النزر القليل مما أعطاهم الله ليسجلوا لأنفسهم فى باب المروؤة والإحسان ماسجل لصاحب حانوت التماثيل.

إن رجلاً يؤمن بالله ورسله، وآياته وكتبه، ويحمل بين جنبيه قلباً يخفق بالرحمة والحنان، لايستطيع أن يملك عينه من البكاء ولا قلبه من الخفقان، عندما يرى فى يوم العيد، فى طريقه إلى معبده، أو منصرفه من زياراته، طفلة مسكينة بالية الثوب كاسفة البال دامعة العين، تحاول أن تتوارى وراء الأسوار والجدران خجلاً من أترابها وصواحبها أن تقع أنظارهن على بؤسها وفقرها، ورثاثة ثوبها، وفراغ يدها من مثل ما تمتلئ به أيديهن، فلا يجد بداً من أن يدفع عن نفسه ذلك الألم بالحنو عليها، وعلى بؤسها ومتربتها، لأنه يعلم أن جميع ما اجتمع له من صنوف السعادة وألوانها لايوازى ذرة واحدة من السعادة التى يشعر بها فى أعماق قلبه عند ما يمسح بيده تلك الدمعة المترقرقة فى عينيها..

حسب البؤساء من محن الدهر وأرزائه أنهم يقضون جميع أيام حياتهم فى سجن مظلم من بؤسهم وشقائهم، فلا أقل من أن يتمتعوا برؤية أشعة السعادة فى كل عام مرة أو مرتين!!

من تجاربى

أحمد أمين

ميزة إنسان على إنسان وأمة على أمة، هى القدرة على الاستفادة من التجارب وعدمها. فالحادثة تحدث أمام جمع من الناس فيستفيد منها أحدهم بمقدار مائة، وآخر بمقدار خمسين، وثالث تمر منه الحادثة على عين بلهاء، لا يستفيد منها شيئاً.

عند الإنجليز مثل يقول: " إن العاقل له عينان تبصران، أما الأبله فله فى وجهه تجويفان".

وكم من الناس من لهم أعين، ولكن لايبصرون بها، وآذان ولكن لايسمعون بها.

إنك قد تستطيع أن تفتح عينيك على كتاب وتقرأ كلماته، ولكن لاتعى منه شيئاً ولا تفهم شيئاً إذا كان عقلك غائباً، فلا فائدة فى النظر من غير ملاحظة، ولا فى التجارب من غير عقل.

وأنت فى شبابك تستطيع أن تمرن عينيك وأذنيك وجميع حواسك على أن تربطها بالعقل، فتلاحظ وتجرب وتستفيد من الملاحظة والتجربة.

والفرق بين من يستفيد من التجربة ومن لايستفيد، أن الأول يستطيع بتجاربه أن ينتهز الفرص فى حينها، وأن يتجنب الخطر قبل وقوعه. على حين أن الثانى لاينتهز فرصة ولايشعر بالخطر إلا بعد وقوعه.

إنك تقرأ كتب التاريخ لتستفيد من أعمال الناس، وما وقع لهم، وما صدر منهم، وما كان من نتائج أعمالهم، وتقرأ سير العظماء لتتشبه بهم، وتدرك موضع عظمتهم، وتقرأ الطبيعة والكيمياء لتستفيد من استكشاف من قبلك لقوانين الطبيعة، فالحياة كلها تجارب واستفادة من التجارب.

إنك الآن فى شبابك تختزن معلومات من كل ما تسمع وترى وتقرأ، فمن الخير أن يكون مخزنك أنظف مايكون وأثمن مايكون، وأن يكون أشبه بدكان تاجر الجواهر الثمينة، ليس فيه شىء رخيص، ولا شىء تافه، ثم اجتهد ـ بعد ذلك ـ أن تستخدم هذا المخزن خير استخدام.

والآن أقص عليك شيئاً من تجاربى لعلها تنفعك:

من الدروس الأولى التى تعلمتها، أنى لم أخرج إلى هذا الوجود صحيفة بيضاء، كما كان يظن القدماء، بل كثير من صفات أبوى وأجدادى وماحدث لهم قد نقشت فى صحيفتى، سواء فى ذلك الصفات الجسمية أو العقلية أو الخلقية.

ولأضرب لك مثلين، كان لهما أثر سيء فى حياتى:

أحدهما أنى وأنا حمل فى بطن أمى كانت لى أخت، فتاة فى الثانية عشرة من عمرها كلفتها والدتى ووالدتها، أن تصنع قهوة لضيوفها، فما أشعلت النار فى "السبيرتو" حتى التهب، وأصابها فى شعرها ثم فى وجهها ثم فى ملابسها وجسمها، فصرخت، ثم أدركوها وهى شعلة نار، ولم ينفع فيها إنقاذ ولاطب، وأسلمت روحها لخالقها، فقضيت أشهراً تعيسة فى بطن أمى أتغذى بدمها الحزين، وتتكون أعصابى من أعصابها المحطمة، ويتحول بعض جسمى إلى دموع مسفوحة، وآهات مضنية، ثم ولدت فى هذا الجو الحزين، لم أشاهد أول ماشهدت ضحكة ولا ابتسامة، بل كان حزن وسكون ودموع وضنى.

هل كان لهذا الحادث أثر فى نفسى؟ وهل كان ما أجد فى كل حياتى من حزن عميق، وميل إلى الغناء الحزين والمنظر الحزين، وتفضيل المأساة على الملهاة، هل كان مرجع ذلك كله إلى هذا الحدث؟ قد يكون، وقد يكون أحد الأسباب غذته الأحداث والتربية التى لم تمح أثره ولم تصلح فاسده. ولهذا كان القدماء على حق فى أن ينصحوا الحامل أن تنظر إلى الصورة الجميلة، وأن تحيط نفسها بالمناظر السارة والأحاديث المفرحة.

والحادثة الثانية أنى ورثت من والدتى ـ رحمها الله ـ قصراً فى النظر أتعبنى فى حياتى، وقد عالجته أخيراً بالمنظار، فلم يكن فيه الغناء الكافى، وكم فوت علىّ قصر النظر من فوائد، أوقعنى فى مآزق، وأخجلنى فى مواقف، وأربكنى فى التصرف، وكان له أثر فى أخلاقى.

وزاد فى الحادثين سوءا أن التربية كانت عندنا ـــ ومازال ـــ متروكة للمصادفة. ولو كانت تربية صحيحة لدرست فيها شئون كل طفل وشئون أسرته، وعرفت أمراضه ومنشؤها، ووضعت لها طرق العلاج الصالحة لها. لو كانت

تربيتى صحيحة لاكتشفت أعراض الحزن فى الحالة الأولى، وعوجلت من الناحية النفسية علاجاً صحيحاً، وعودنى المشرفون على تربيتى أن أتذوق السرور كما أتذوق الحزن، وأن أنعم بالحياة كما ينعم بها صحيح الأعصاب صحيح النفس، ولعولج قصر نظرى من أول الأمر ـ كما يقتضيه العلم ـ فخفف من حدته إن لم يستطع أن يذهب بالمرض كله.

كم تستطيع التربية أن تصلح من فساد وتعالج من مرض، ولكن كل شىء عندنا متروك للمصادفة، زراعة الزراع ومالية التاجر وسياسة الأمة. القاعدة عندنا " كل شىء حيثما اتفق" وعند غيرنا " كل شىء حسبما وصل إليه العلم الحديث"

استفد من تجاربى بأن تؤمن بقانون الوراثة، فتسير فى عملك على وفقه، فليس يصح أن يتزوج قصير النظر من قصيرة النظر، ولا مصدور من مصدورة، ولاضعيف القلب من ضعيفة القلب.

وأن تؤمن بالبيئة وأثرها فى الإنسان فتحيط نفسك بخير بيئة ما أمكنك.

وأن تؤمن بالتربية فتعالج بها المرض وتكمل بها النقص، فلكل داء دواء من التربية متى أجيد فهمها.

وأن تؤمن بالعلم وتحله فى حياتك محل المصادفة وترك الأمور حيثما اتفق، فقد أصبح بناء كل شىء على العلم هو دعامة المدنية الحديثة وشعار التقدم الإنسانى.



العصافير

أبو المعاطى أبو النجا

كيف تبصر عصفوراً عن قرب؟ ربما لم تفكر يوما فى سؤال كهذا، ولاأذكر أننى فى طفولتى كلها واجهت مثل هذا السؤال. كانت القرية التى نشأت فيها تحيط بها الحقول من جميع الجهات، كما كانت تمتلئ بالأجران، التى تمتلئ بدورها فى مواسم الحصاد بالمحاصيل. وهنا وهناك كانت تطير أسراب العصافير، تملأ السماء وفروع الأشجار، وأسطح المنازل. كان منظرها مألوفا وطبيعيا إلى الحد الذى لايلفت النظر.

ودائماً كانت تطير فى جماعات إلى الحد الذى لم أفكر فيه أنه يوجد هناك عصفور واحد منفرد أتمنى رؤيته عن قرب!!

ربما لهذا أحسست بالمفاجأة والدهشة حين طلب منى طفلى الذى لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره أن يبصر عصفوراً عن قرب!!

قلت فى نفسى: لعله جوع المدينة لرؤية الطبيعة. ولكن طفلى، الذى أدهشه صمتى، بقدر ما أدهشنى مطلبه، أعاد طلبه فى صيغة سؤال وهو يرفع إلى نصف وجه مغمضاً إحدى عينيه:

ـ لماذا تهرب العصافير يا أبى حين أقترب منها؟

ـ لأنها تخاف!

ـ ولماذا تخاف يا أبى؟

ـ لو بقيت فى مكانها فسوف تمسك بها .. وهى لاتريد ذلك .. ثم أضفت بعد أن تلكأ السؤال التالى على شفتى طفلى:

ـ لأنها تريد أن تبقى حرة!

ولكنى لا أريد الإمساك بها يا أبى .. أريد أن أراها عن قرب .. فهى جميلة جداً..!

ـ هى لاتعرف أنك لاتريد الإمساك بها .. ثم قلت محاولاً أن أشاكسه، مستغلا صمته الطارئ:

ـ وربما لو وقفت لفكرت فى لمس ريشها الناعم، والإمساك بها!

ـ ولكنى لا أريد الإمساك بها .. أريد أن أراها عن قرب. قالها بتأكيد غاضب، وهو يهم بالانصرف يائسا من تحقيق رغبته!!.

ولكن رغبة طفلى أصبحت على نحو ما رغبتى!

تذكرت كل ما قرأته فى كتب التربية عن جدوى أن يقوم الأطفال بتربية الطيور والحيوانات والزهور وملاحظة نموها .. واعتقدت أننى سوف أحقق رغبة طفلى ورغبتى، ورغبة علماء التربية، حين أشترى له قفصا، به زوجان من طيور الزينة الملونة ليراهما عن قرب.

حين أحضرت القفص فى اليوم التالى كاد طفلى يطير من الفرح.. لم يتخيل أن يتحقق أمله بهذه الصورة الرائعة، وبهذه السرعة. وامتلأت الشقة وخاصة فى لحظات الشروق والغروب بزقزقة العصفورين، وبفرحة ابنى، وبعشرات الحكايات التى يرويها كل يوم عن ألعابهما فى القفص، والطريقة التى بها يأكلان، ويشربان، ويقفزان، ويتناغيان، ويتشاجران!! كان هو الذى يغير لهما الماء والطعام فى العلبة المعدنية الخاصة بذلك فى القفص، محاذرا أن يهرب العصفوران أثناء فتح باب القفص وإغلاقه!

وكان هو الذى يغير مكان القفص فى الشرفة كلما تغيرت حركة أشعة الشمس أثناء النهار، وكان هو الذى طلب مجموعة من أقلام الرسم الملونة ليرسم صورا للعصفورين، تنقل إلى الورق حركتهما والألوان الزاهية البديعة فى أجنحة العصفورين!!

ذات مساء عدت إلى الشقة لأجد فى عينى طفلى نظرة واجمة وساهمة، سألته:

ـ ماذا يحزنك؟

ـ العصافير ياأبى؟

ـ ماذا حدث لها؟

ـ لاتريد أن تأكل .. ولاتريد أن تلعب؟

ـ لماذا؟

ـ لا أعرف؟

كنت قد اشتريت كتابا عن تربية هذا النوع من الطيور. وبملاحظة العصفورين فى اليوم التالى، أدركت أنهما قد أصيبا بمرض قد يؤدى بهما إلى الوفاة. وخشيت من تأثير صدمة كهذه على نفسية طفلى. لم أرد أن أدخل فى تجربة علاج قد لايجدى وقد يلحق بهما الموت قبل الشفاء. فكرت أن الوقت المناسب قد حان لأعلم طفلى درسا، وأبعد عنه شبح التجربة القاسية؟

قلت له:

ـ إنها تريد أن تنطلق إلى الفضاء .. إنها تكره القفص وتحب الحرية.

ـ ولكنها لم تكن تريد ذلك قبل الآن يا أبى .. كانت تأكل وتلعب!

ـ كانت تحتمل وتنتظر.. ولكن يبدو أنها لم تعد قادرة على الاحتمال والانتظار!

ـ وكيف تحتمل الجوع يا أبى؟

ـ هذا النوع من العصافير تحتمل الجوع، ولايحتمل أكثر من الآخر.. لكن فى النهاية..

ـ هل ستموت يا أبى مالم نطلقها..؟

ـ نعم .. ثم أضفت محاولاً أن أدفع بالموقف إلى نهايته.

ـ ما رأيك لو أطلقناها إلى الفضاء؟؟

صمت الصبى، قطب حاجبيه وهو ينظر فى حنين إلى القفص، وكأنه يبحث عن مخرج، ثم قال بتصميم:

ـ لا يا أبى .. ولكن أريد أن أراها عن قرب وهى غير جائعة، وغير خائفة!

أربكنى إصرار الصبى. وأذهلنى نطقه لهذه العبارة .. " غير جائعة! وغير خائفة"

قلت مستسلما:

لا أدرى يا عزيزى كيف يمكن أن يحدث ذلك؟

ـ إنه أمر من الصعب جداً حدوثه كما ترى!

مرت لحظات صمت مفعمة بالحيرة، لم أشأ أن أتدخل فيها بكلمة واحدة، ربما لأننى لا أجد هذه الكلمة، وربما لأننى تركت لطفلى ـــ لأول مرة فى حياته ــ أن يتخذ بنفسه القرار الذى كان لابد أن يتخذه حيال عجزى عن تحقيق أمنيته فى رؤية عصافير غير جائعة وغير خائفة عن قرب!

وفجأة مد يدا مترددة.. وفتح باب القفص .. وللحظات بدأ العصفوران وكأنما يترددان بدورهما فى الخروج من القفص. وتردد الفرح والخوف والوجوم على وجه الصبى حين بدأ أول عصفور يقف على الباب المفتوح وينتظر أو يفكر قبل أن يتخذ قراره هو الآخر! حين طار أول عصفورسقط على حافة الشرفة وبذل مجهوداً ليسترد توازنه قبل أن يلحق العصفور الآخر ويسترد توازنه بجواره .. ومرت لحظات لم يبرح فيها العصفوران مكانهما من حافة الشرفة .. لحظات خيل فيها للصبى أنهما سيبقيان هكذا دائماً ليتحقق له الأمل الصعب العسير: عصفوران بلا خوف وبلا جوع يراهما عن قرب!

ولاحت فى عينى الصبى نظرة، ودّ فيها أن يرجوهما فى تحقيق أمنيته.. ويعدهما فيها بالطعام بلا قفص! ولكن العصفورين قفزا إلى الفضاء ليسقطا فى خلاء مجاور البيت.

كنت أعرف أنهما لن يذهبا بعيداً، ولم أكن أحب أن يرى طفلى المصير القاسى الذى ينتظرهما. قلت له وأنا أدعوه للدخول من الشرفة.

ـ سوف يطيران إلى أقرب شجرة، ويتخذان فوقها عشا..

لم يرد الصبى .. ومضت فى عينيه نظرة حزينة مستريبة..

ـ مضت أيام دون أن تفارق عينيه تلك النظرة الحزينة المستريبة التى تتابع العصافير البعيدة وهى تتقافز وتلهو وتلعب دون أن تسمح له برؤيتها عن قرب!.

انتظرت أن ينسى طفلى مثل كل الأطفال سؤاله وحزنه، ولكنه لم يفعل ذلك إلا فى ذلك الأصيل الذى طرق فيه باب حجرتى، ودخل على أطراف أصابع قدميه

يشير إلى لكى أتبعه فى صمت وحذر.. لم أسأله عما يريد فقد كنت سعيداً بنظرة السعادة فى عينيه، وكان يكرر لى إشارته بإصبعه على شفتيه المضمومتين لكى أتبعه فى صمت. سرت وراءه إلى حجرة صغيرة مخصصة للأشياء القديمة، لها نافذة زجاجية مغلقة دائماً لأنها تطل على مسقط خلفى للعمارة، ولأن أحداً لايدخل هذه الحجرة إلا ليأخذ شيئاً أو يتركه..

وأشار الصغير بإصبعه إلى النافذة الزجاجية المغلقة دائماً .. خلفها وعلى حافة الإفريز الخارجى كان يوجد بينه وبين ماسورة المياه فى العمارة عش للعصافير، ترتفع منه رؤوسها الصغيرة، وهى تهم بالتقاط الحب من أمها التى تذهب وتعود به!

كانت أمنية الصغير تتحقق على نحو رائع لم يخطر ببالى أو بباله.. كانت هناك عصافير جميلة تزقزق وترفرف بأجنحتها، بلا جوع أو خوف وكان هو فى مكمنه يراها كما تمنى دائماً عن قرب!!

لن أنسى ماحييت نظرة الفرح فى عينى طفلى.. ويبدو أنه لم يجد فى عينى مثل هذه النظرة .. سألنى وهو يتقدمنى إلى خارج الغرفة الصغيرة:

ـ ألست سعيداً ياأبى لأنك أبصرت مثلى عصفوراً عن قرب؟؟

ـ سعيد جداً يا عزيزى! لماذا تظن أننى غير سعيد؟

ـ لأنك تبدو حزيناً حقاً يا أبى؟

حاولت عبثاً أن أرسم ابتسامة على شفتى، ولكنه عاد وكرر السؤال:

ـ لماذا أنت حزين يا أبى؟؟

لم أدر ماذا أقول له؟ لولدى. كان فى حاجة إلى عشر سنين فوق عمره لأحدثه عن العصافير الجميلة التى يعشقها الكبار أيضاً، والتى يحلمون برؤيتها عن قرب، وهى غير جائعة وغير خائفة! ولكنهم لايقدرون لأنهم لم يجدوا بعد مثل هذه النافذة التى لا تحجب الرؤية، ولكنها تحجب الخوف!

وأودعت حيرتى وحزنى قبلة على وجه الصغير السعيد حتى لا أقلل من سعادته، وحتى يصمت متمنيا أن يجد جيله دائماً هذه النوافذ التى لاتحجب الرؤية ولكنها تحجب الخوف، وحتى يبصر عصافيره الجميلة دائماً عن قرب!!

حكايتان من الفلكلور الألبانى

ترجمها إلى الفرنسية: روجر أرنالديز

ومنها إلى العربية: د. حامد طاهر

تقديم:

هاتان الحكايتان مستمدتان من منتخبات دوزن الأدبية، التى أصبحت الآن قديمة. وترجع أهميتهما إلى مانجده فيها من أصل هندو أوربى، مع جو ألف ليلة السارى فيهما هنا وهناك. لقد تم وضع الحكايتين فى نقطة اتصال بين حضارتين. ولم يكتسبا من ذلك إلا المزيد من الروعة.

سوف نلاحظ أنهما لايحتويان على الطابع السحرى، بالمعنى الحرفى للكلمة. ومع ذلك فإن الأحداث الغريبة تتوالى فيهما على أكثر مايكون الأمر طبيعية وعفوية، ودون أى تبرير ذهنى، أو تدخل من العبقريات الفردية، والرواة..

إنه الروح النشط واليقظ الذى يمضى على سجيته، ليرضى السامعين بأسلوبه الشفهى، الغنى بالألوان والأصوات..

إنه روح الطفولة فى عالمها السعيد الصافى ..

[روجر أرنالديز ١٩٤٧]

(١) فـاطمـة

يحكى أنه كانت توجد ثلاث أخوات. صغراهن اسمها فاطمة. وهى أجمل الثلاثة. وفى ذات يوم، خرجت الأختان الأكبر، لتسألا الشمس.

ـ أيتها الشمس، من هى أجملنا؟

وأجابت الشمس: فاطمة

عندئذ راحتا تغرقان أنفسهما بالحلى والأساور. وفى اليوم التالى عادتا تسألان الشمس. وللمرة الثانية أعلنت الشمس رأيها لصالح فاطمة.

فكرت الأختان فيما ينبغى عمله، وقالتا فيما بينهما: غداً نتظاهر بالذهاب إلى الغابة، ونخرج قبل فاطمة ثم نقول لها: يمكنك أن تجدينا حيث تكون جرة كل منا معلقة..

وهكذا بدا لهما حسن صنعهما. وفى اليوم التالى، قالتا لفاطمة:

ـ اكنسى المنزل، وسنذهب نحن لجمع الحطب من الغابة، وسوف تجديننا حيث تكون جرتانا معلقتين.

رحلت الأختان. وعندما انتهت فاطمة من الكنس كانت على الطريق. ذهبت تبحث هنا وهناك، حيث يمكن أن تضع أختاها جرتيهما لكنها لم تجد شيئاً.. لأن أختيها مرتا من طريق آخر، عائدتين إلى المنزل.

لفت فاطمة الغابة ألف مرة باحثة عن مكان أختيها. وعندما سقط الليل عليها تسلقت أغصان شجرة عالية ولمحت على البعد ضوءاً يتلألأ فاتجهت ناحيته، وحمدت الله أن وجدت منزلاً، فدخلته.

كان هذا المنزل مسكناً لأربعين لصاً. وكان هؤلاء اللصوص يسرقون أثناء الليل، وفى النهار يعودون. وتبعاً لعادتهم، رجعوا فى اليوم التالى. ومع ضربات بنادقهم على الباب .. انفتح، فدخلوا، وجلسوا وعندما حان وقت الطعام، صفت الأطباق على مائدة رائعة، وقدمت مختلف ألوانه الشهية. لكنهم لاحظوا أثناء الأكل، أن هذا الطعام ليس من صنع طباخهم (وهذا حق لأن الطباخ عندما رأى فاطمة، أحبها، وكلفها بإعداد الطعام) وسأل اللصوص الطباخ:

هل عندك أحد بالداخل؟

وفى البداية تلجلج، ثم انتهى بالاعتراف بالحقيقة كلها. عندئذ أراد كل منهم أن يتزوج فاطمة، لكن خوفاً من أن يتصارعوا، فقد تركوها تتزوج الطباخ، وخرجوا..

أما فاطمة، فقد أحبها اللصوص الأربعون كأختهم تماماً، وأحضروا لها كل ما هو طيب.

وعندما علمت الأختان أن فاطمة على قيد الحياة، وأنها تزوجت فى مكان ما، حزنتا حزناً شديداً، وقررتا أن يقتلاها بأى وسيلة. وفى ذات يوم، أرسلتا لها عقداً ذهبياً ، كان مسموماً بحيث تموت عندما تضعه فى عنقها.

ودخلت خادمتهما، وحيت فاطمة، متمنية لها صحة جيدة، كما أمرتها سيدتاها أن تفعل. ثم أعطتها العقد، وما أن تناولته فاطمة حتى وضعته فى عنقها، وعلى الفور ماتت.

عاد اللصوص، وأطلقوا رصاصهم كى ينفتح الباب، وعندما لم يسمعوا إجابة، انتهوا باقتحامه بالقوة، وما أن دخلوا حتى رأوا فاطمة متمددة فى وسط الحجرة، فحركوها من هنا ، ومن هنا. وفى النهاية نزعوا العقد من عنقها، فدبت فيها الروح.. عندئذ قصت عليهم من أى شىء ماتت، فنصحوها بألا تقبل فيما بعد شيئاً من أختيها.

لكن فى اليوم التالى، عندما علمت الأختان بأنها مازالت حية، أرسلتا إليها خادمتهما بمنخل ملىء بقطع من الذهب، مع بعض الأشواق والأمانى التى نجحت فى خداع فاطمة مرة أخرى. وما أن أفرغت المنخل فى حجرها، حتى سقطت ميتة.

عاد اللصوص من مغامرتهم الليلية، يصحبهم زوج فاطمة، ومن جديد وجدوها ميتة، فقاموا بتفتيشها، وأبعدوا قطع الذهب من حجرها وأكدوا عليها هذه المرة، أكثر مما سبق، ألا تمس شيئاً مما يأتى من أختيها فيما بعد.

أسفا! من جديد خدعت. لأن أختيها عندما علمت أنها لم تمت، أرسلتا إليها خاتماً، وما أن وضعته فاطمة فى أصبعها حتى سقطت ميتة.

وعندما عاد اللصوص من مغامرتهم الليلية، وجدوها ميتة وفتشوها.. لكن لم يرد على أذهانهم فكرة البحث فى يدها.

عندئذ بكوها ثم وضعوها فى نعش، وغطوه، ووضعوه فى أفرع سنديانه ينساب تحتها نبع ماء جار..

وذات يوم جاء سائس الملك لكى يسقى حصانه من النبع، وما كاد الحصان يقترب من الماء حتى ارتد دون أن يلمس قطرة منه، لأنه رأى فيه ظل النعش.. عاد السائس إلى الملك، وحكى له مارأى، فانتقل الملك بنفسه. وفى الموضع الذى ارتعد فيه الحصان، ألقى الملك ببصره إلى ماء الجدول فأبصر خيال النعش. عندئذ أمر بإنزاله، ورأى أنه يضم جسد فتاة غاية فى الحسن، فأوصى بنقلها إلى قصره، حيث وضعها فى أحد أجنحته.

ومر الوقت.. وبدأ فاطمة تنحل، وجسمها، يضمر. وبعد فترة سقط الخاتم من إصبعها، وفى نفس اللحظة، بعثت فيها الروح.

حينئذ تزوجها الملك. وعاشا طويلاً، وكانت دائماً سعيدة.



(٣) الدب والدرويش

يحكى أن راعياً كان يحرس قطيعاً من الغنم. وكان يتشدد فى حراسته جداً، لأن دباً شرساً كان يأتى فى كل يوم، ويلتهم من قطيعه خمسة أو ستة أغنام.

وذات صباح جميل، مر بالراعى درويش متجول، وبعد أن تبادلا التحية، قال الراعى:

ـ يوجد هنا دب لا يتركنى هادئاً أبداً. فى كل يوم، يخطف منى خمسة أو ستة أغنام. ألا توجد وسيلة لوقفه؟

فأجاب الدرويش:

ـ سأقتلــه فــى نفس المكان. ولــن أطلــب منك شيئاً سوى ثلاث قطع من الجبن الأبيض.

عندئذ أعطاه الراعى الجبن الذى طلبه، وجاء الدب كعادته ليخطف الأغنام. وعندما وصل، تقدم إليه الدرويش، وبدأت بينهما مجادلة لمعرفة من منهما أقوى من الآخر.

وبالطبع ظن الدب أنه الأقوى، لكن الدرويش قال له:

ـ إننى سأسحقك مثل هذه الأحجار.

وأخرج من جرابه قطعة الجبن الأبيض، ثم الثانية، والثالثة وفركها بيده، فبدت كأنها دقيق مطحون!

اندهش الدب بشدة. وتخير هو أيضاً حجراً أبيض مــن فوق الأرض، لكنه لم يقدر أن يفعل به مثلما فعل الدرويش، وحينئذ بدأت بينهما صداقة مشتركة ..

وبعد وقت قصير، جاع الدب، فطلــب من الدرويش أن يذهب ليصطاد لهما ثوراً يأكلانه، قائلا له: إنه فى ذلك الوقت، سوف يجمع الحطب من الغابة.

لكن الدرويش قال له: اذهب أنت لاصطياد الثور، لأننى لا أهتم باصطياد تلك الفريسة الصغيرة. لأن ما يليق بى هو اصطياد أسد! وقد أتاحت لـه تلك الحيلة أن يتجنب اقتناص ثور! أما الدب، فقد مر بجانب قطيع من الثيران، وبسرعة قفز على ثور، وعاد به حاملاً إياه على كتفيه.

وفى تلك الأثناء مضى الدرويش إلى الغابة، وهناك ماذا فعل؟ أخذ حبلاً طويلاً، وربط به كل أشجار الغابة، كما لو كان سيقتلعها كلها بجذبة واحدة.

وعندما عاد الدب، نادى صديقه، فلم يجده، فنهض، ومضى إلى الغابة، ووجد ما أعده لاقتلاع كل أشجار الغابة بجذبة واحدة. اندهش الدب من صديقة الدرويش، وقال فى نفسه: إن هذا الرجل أقوى منى ألف مرة. ثم قال بصوت عال:

ـ ماذا سنفعل بكل هذه الأشجار التى ستقتلعها؟ خذ فقط منها فرعاً واحد أواثنين، وعد.

فأجاب الدرويش:

ـ أنا لست الرجل الذى يأخذ فرعين صغيرين من الغابة. لكنك أنت الذى يفعل ذلك.

وعلى الفور، جذب الدب فرعين من شجرة، وعاد بهما حيث ترك الثور وبدأ الدب يقطعه. لكن كان ينبغى أن يطبخ. فقال الدرويش:

ـ سوف أذهب أنا لإحضار الماء. فابق هنا لتقليب الخشب دون أن تتعب نفسك (قال هذا لأن المسكين لا يستطيع أن يقلب ثوراً ضخم الجثة!) وأخذ الوعاء ومضى إلى النبع، وملأ وعاءه، ثم وضعه على كتفه، لكنه لم يستطع أن يحتفظ به طويلا، فتركه يسقط على الأرض، قبل أن يهلك تماما.

انتظر الدب ساعة، وساعتين، وأخيراً ذهب إلى النبع، الذى ذهب إليه الدرويش، وعندما وصل قال له:

ـ لماذا تأخرت طويلاً هكذا؟

فأجاب الدرويش:

ـ كنت أفكر فى طريقة لإحضار النبع من الصخرة التى يخرج منها. ومع الأسف لم أستطع إحضاره كما ينبغى. وقد وجدت أن رجوعى وحدى بوعاء يخجلنى. أما أنت فيمكنك حمله!

حمل الدب الوعاء على كتفه، ثم عاد الاثنان. وبينما هما سائران قال الدب للدرويش:

- هيا بنا نتصارع معاً قليلا

فصاح الدرويش فيه:

- انج بنفسك منّى، لأننى لا أرغب أن أسبب لك أذى.

ومع ذلك، انتهى بهما الأمر إلى أن يتصارعا: ضغط الدب على الدرويش بقوة جعلت عينى الدرويش تكادان تخرجان من رأسه. وعندما شاهد الدب وجهه المنتفخ، وعينيه الجاحظتين، سأله:

- لماذا أصبحت هكذا؟

فأجاب الدرويش:

- لأننى لا أعرف بالضبط أين أقذف بك. من هنا فأفتتك قطعا، أم من هنا، وهذا أسوأ!!

فقال الدب:

- اسمح لى أن أطلب عفوك .. وتركه.

وبعد وقت قصير، وصلا إلى مكان الثور المطبوخ، وبدآ يأكلان وعقب تناول قطعتين صغيرتين من لحم الثور توقف الدرويش عن الأكل، فسأله الدب:

- لماذا توقفت؟

- لم تعد بى حاجة للطعام، بعد كل تلك الخراف التى أكلتها، بينما كنت ذاهبا لحمل الماء (وكان الدرويش أضعف من أن يلمس خروفاً واحداً).

وبعد الطعام، اقترح الدب على الدرويش أن يصحبه إلى منزله، كصديق عزيز. فسارا معا، إلى أن وصلا، حيث طلب الدب من أمه وأخته أن يشحذا له فأساً، لأنه صمم على قتل هذا الصديق الذى بدا أنه أقوى منه.

وما أن سمعت أخت الدب، وكانت دبة طيبة القلب، هذا الكلام حتى أسرعت إلى الدرويش، وقصت عليه ما قاله أخوها.

جاء الليل، وجلس الدب على المائدة، وأكلوا جيداً، ثم تمددوا على الأرض، وناموا .. وبالطبع تظاهر الدرويش بالنوم، في المكان الذى اختاره له الدب، لكنه عاد فاختبأ خلف بردعة حمار كانت فى ذلك الموضع. وحوالى منتصف الليل، نهض الدب، وأخذ فأسه، وهوى به على جسد الدرويش ثلاث أو أربع مرات، وبعد أن اعتقد أنه قد تمزق تماما، عاد إلى مكانه ونام ..

قبل طلوع الصباح، نهض الدب، وذهب إلى الغابة، وعند عودته ماذا رأى أمامه؟ الدرويش. وبمجرد رؤيته، راح يفرك عينيه غير مصدق ما يراه. ومع ذلك، سأله: كيف أمضى ليلته؟

فأجاب الدرويش:

ـ حسنا جداً، ماعدا برغوثين أو ثلاثة لسعتنى قرب منتصف الليل. صدم الدب من الدهشة، حيث أن ضربات الفأس لم تبد له إلا لسعات برغوث!

وفى حالة من عدم التماسك، اعترف له الدب بكل شئ، وتوسل إليه أن يخبره كيف يصبح قويا هكذا مثله؟

أجاب الدرويش بهدوء:

ـ لاشيء أكثر سهولة من ذلك. ما عليك إلا أن تبحث لى عن قربة لبن.

ذهب الدب، وعاد بقربة لبن، فأشعل الدرويش النار تحتها، وعندما بدأت تغلى، قال الدرويش للدب:

ـ ضع رأسك هنا، حتى تصبح قويا.

وأطاع الدب فوضع رأسه لأول مرة فاحترق، ثم وضعها لثانى مرة متحملاً الألم بشدة، وفى المرة الثالثة، دفع الدرويش رأس الدب فى قدرة اللبن المغلى، وتركه يطبخ على مكمورة القدر.



فهرس

القسم الأول

القسم الثاني: النماذج

(أ) من الشعر

(ب) من النثر

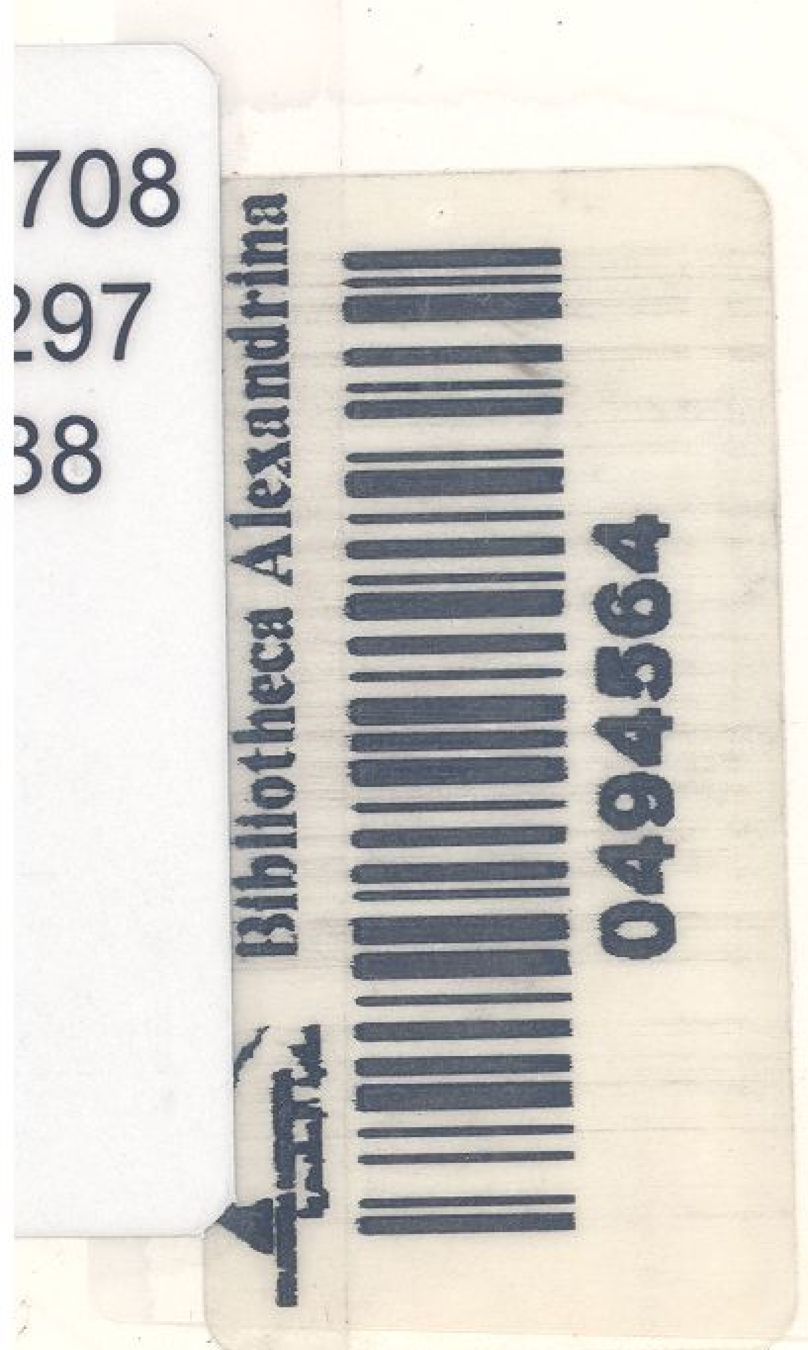
هذا الكتاب

فى وسط الضجيج المتعالى لمروجى الأدب الغربى داخل المجتمعات الإسلامية، ومحاولاتهم فرض نماذجه دون أن يكون لها أى صدى فى نفوس المسلمين، بل على العكس لا تلقى منهم إلا النفور، والصمت الرافض..

تجىء فكرة هذا الكتاب عن الأدب الإسلامى الأصيل، الذى يستعرض القسم الأول منه مجموعة من قضاياه الأساسية، مثل معاييره، وإحيائه، ومصادره، ومستقبله، وعلاقته بالأجناس الأدبية، والأشكال المستحدثة، والنقد المصاحب له .. إلخ.

ويقدم القسم الثانى مجموعة من النماذج الشعرية والنثرية (مقالات، قصص قصيرة عربية ومترجمة) من أجل التعرف عليها، والانطلاق من آفاقها نحو إبداع مزيد من ألوان الأدب الإسلامى الواعد.

أحمد غريب


708
297
38
Bibliotheca Alexandrina
04494564